المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ رجب سنة ١٣٢٣

اسكار الثاني ملك اسوج

وانفصال نروج

ذكرنا في الجزء السابق والذي قبلهُ طَرَفًا من سيرة محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الذي ارتقى ببسالتهِ وهمتهِ من مصاف الجند الى ان صار واليًا على القطر المصري بل كاد يكون ملكاً مستقلاً فيهِ . ونحن ذاكرون الآن سيرة رجل آخر ارتقى جدُّهُ من مصاف الجند الى ان صار قائدًا عظيمًا ثم ملكاً مستقلاً في الوقت الذي نشأ فيهِ محمد علي باشا وهو يوحنا برنادوت الذي صار ملكاً لاسوج

ولد هذا الرجل في جنوبي فرنسا سنة ١٧٦٤ قبلما ولد محمد علي بنحو خمس سنوات وانتظم في الجيش الفرنسوي جنديًا بسيطًا سنة ١٧٨٠ وانضمَّ الى رجال الثورة الفرنسوية وارتقى في المناصب العسكرية الى ان صار قومندان فرقة سنة ١٧٩٤ وما زال يتدرَّج في الارتقاء الى ان صار مرشالاً سنة ١٨٠٤ وهو اعلى منصب في الجندية ولا بدَّ من انهُ بلغ ذلك المنصب بجدهِ وبسالتهِ لان نبوليون لم يكن ينعم بالمناصب العسكرية جزافًا ولم يكن شديد الميل اليهِ بل كان يغار منهُ لكنهُ كان منصفًا فلم يمسك عنهُ منصبًا استحقهُ

ولم يكن لملك اسوج وليُّ عهد فاختارهُ مجلس النواب الاسوجي وليًّا لعهدهِ وذلك سنة ١٨١٠ وقبض على ازمة الملك في السنة التالية لان الملك مرض حينئذٍ وهي السنة التي فتك فيها محمد علي بالمماليك واستتبَّ لهُ الملك في القطر المصري . وطلب اليهِ نبوليون ان يعاونهُ بمقاطعة الانكليز تجاريًا فابى لان ذلك مجحف بمصلحة اسوج المالية ثم اضطرَّ ان ينضمَّ الى خصوم نبوليون ويحاربهُ معهم لكنهُ ابى ان يشن الغارة معهم على فرنسا . ويقال انهُ كان

يطمع في ان يصير عرش فرنسا اليهِ . وتوفي ملك اسوج سنة ١٨١٨ فخلفهُ باسم كارلس الرابع عشر ولقبهُ قومهُ بالملك الصالح الحكيم وهو خير لقب يلقب بهِ الملوك . واستعزَّت مملكة اسوج في عهدهِ فانهُ رقَّاها علماً وزراعة وصناعة وتجارة وتوفي في ٨ مارس سنة ١٨٤٤ . فولد قبل محمد علي بخمس سنوات وتوفي قبلهُ بخمس سنوات فضلاً عن المشابهات المتقدمة وذلك من غرائب الاتفاق

ولما توفي خلفهُ ابنهُ باسم اسكار الاول وتوفي سنة ١٨٥٩ فخلفهُ بكرهُ باسم كارلس الخامس عشر وتوفي من غير عقب فخلفهُ اخوهُ الملك الحالي سنة ١٨٧٢ باسم اسكار الثاني وهو الابن الثالث من اولاد الملك اسكار الاول ولم يكن يُظَنّ ان عرش الملك يصل اليهِ لانهُ لما ولد كان جدهُ لم يزل متربعاً فيهِ فلم يرَبَّ التربية التي تعدهُ للقبض على ازمة الملك بل تُرِكَ الى ميلهِ الطبيعي فاختار البحرية وارتقى فيها رويدًا رويدًا الى ان صار ملازماً ودرس كل فروعها درساً مدققاً . واستفاد من الاسفار الكثيرة التي سافرها . وهو شاعر مطبوع فقويت مخيلتهُ بما مرَّ امام عينيهِ من الصور الكثيرة وعاد من الاسفار وعمرهُ عشرون سنة فدخل مدرسة ابسالا الجامعة تلميذًا وامتاز في العلوم الرياضية ولكنهُ لم يترك البحرية فارتقى في مناصبها الى ان صار اميرالاً وهو على ذكاء عقلهِ وقوة عارضتهِ انيس المحاضرة طلق المحيا فاحبهُ البحارة كلهم من اعلاهم الى ادناهم وكان حبهُ لهم لا يقلّ عن حبهم لهُ كما يظهر من القصيدة التي نظمها وموضوعها " ذكرى الاسطول الاسوجي " . وكانت اكادمية العلوم الاسوجيَّة قد عينت جائزة لمن ينظم ابلغ قصيدة فنظم هذه القصيدة وبعث بها اليها من غير امضاء ففضلتها على سائر القصائد التي قدمت لها واعطتها الجائزة وهي لا تعلم من نظمها

ولما اتمَّ دروسهُ في المدرسة عاد الى البحر وزار مدناً كثيرة وتوفي اخوهُ الثاني حينئذٍ ولم يولد لاخيهِ الاكبر ولد فترجح ان ينتقل الملك اليهِ وطلب منهُ ابوهُ ان يفتش عن اميرة يقترن بها فاختار الاميرة صوفيا ناسّو ونظم فيها القصائد الحسان وهي من فضليات النساء وجواهر الملوك . ومرَّت السنون وهو عاكف على دروسهِ العلميَّة والادبيَّة والاهتمام بترقية الحربية والبحرية وهي عاكفة على تربية اولادها وتهذيب اخلاقهم

وكان يكتب ويخطب ويباحث ويجادل وخطبهُ من الطبقة الاولى في الفصاحة وحسن البيان حتى تكاد ترتقي الى درجة الشعر البليغ ولم يكتفِ ببنات افكارهِ ومولدات قريحتهِ بل ترجم الى لغة اسوج كثيرًا من الاشعار النفيسة فزادت بها غنًى على غناها

وتوفي ابوهُ سنة ١٨٥٩ كما تقدم وآل الملك الى اخيهِ الاكبر وكان لا يزال من غير ولد

فصار وليًّا لعهدهِ وتوفي اخوهُ بغتةً سنة ١٨٧٢ فآل الملك اليهِ وشغلتهُ مهامهُ في اول الامر عن النظم والانشاء لكنهُ عاد اليهما سريعًا ولا يزال يعود اليهما كلما سنحت لهُ الفرصة لان القريحة لا تكمْ ولو بمهام الملك

ومن امثلة نثرهِ المرسل قولهُ في رسالة الى صديق نشرتها مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في شهر فبراير سنة ١٨٨٩ ما يأتي

"الفصل الخريف وقد بدت الغزالة فوق الافق كرة من الذهب الوهَّاج. وقبل ان ترسل اشعتها وتبعث في الهواء حرارتها رأيت اشجارًا اصفرَّ ورقها وقارب الانتثار مضى نهارها ودنا ليلها نهار قصير لكنهُ بهيج قضتهُ بالغبطة والحبور في ربوع الشمال

لما اشرقت شمس الربيع واذابت الثلج والصقيع وانفك قيد الجداول وسمع خرير الماء في المسايل وتغنت الطيور في افنانها وبدت البراعم من جفون اغصانها واكتست الادواح حللاً تباهي بالوانها تجلَّت الاهات الصيف بغدائر من النضار يمسنَ بجمالهنَّ عجبًا ويتهن دلالاً ويتعانقن عناق العشَّاق ويبسطنَ ظلهنَّ الظليل ليتفيأهُ كل عابر سبيل

والصيف قصير الاقامة في بلاد الشمال فيرتحل ارتحال المسافر وتقف تلك الادواح لوداعهِ مطرقة الراس كاسفة البال تطرح تيجانها بايديها اسفًا وشجنًا وكأن لسان حالها يدعو من يمرُّ بها ليقف ويعتبر

أخيَّ— للانسان ايضًا ربيع وصيف وخريف. الربيع الصبا والصيف الشباب والخريف الشيخوخة لكن صيفهُ قد لا يخلو من آثار الخريف وخريفهُ لا يخلو من تباشير الربيع فان الحزن يصيّر الصباح مساء والربيع خريفًا. وشجرة الحياة التي عصفت بها العواصف يعسر عليها الانتصاب ولا تعود الى رونقها وروائها الاَّ بعد كرور الايام وقد لا تستردهما ما لم يمرَّ بها سامري ويمد اليها يد المعونة حتى النخل الباسق في القفار تضربهُ ريح السموم وتطرحهُ على الثرى مهما رسخ في الارض اصلهُ وعلا الى السماء فرعهُ ولكن الخريف على ظلمتهِ لا يخلو من بهجة الربيع. انظر الى تلك الادواح فان ليل الشتاء يكاد يدركها لكنها راضية مطمئنة ترجو انهُ متى انقضى الشتاء بزمهريرهِ تعود الشمس فتكتنفها بالبهاء وتسمع حولها تغريد الطيور يدعوها الى حياة جديدة وافراح مجيدة وهذا شأنها دوامًا سلسلة متصلة حياة وموت وموت وحياة

ونحن. نحن الذين تعلو شكوانا كلما جرت الرياح على غير ما نريد ونعارض الحق في قضائهِ ويحملنا الغرور على ان نودَّ ان يكون العالم طبق مشتهانا ماذا يجب علينا ان نتذكر ونعتبر ألا نرى في ضمائرنا ما يدلُّ على البعث والنشور على ربيع يأتي بعد خريف الحياة وموت

الشتاء. أَوَليس ذلك آكد واسمى من كل ما في الحياة. ألا نرى شيئًا من الحب والوئام في هذه الدار الفانية أَوَليس ذلك افضل من كل الملاذ مهما غالى بها اخو الدنيا. فعلى مَ نقنط والربيع الذي يتلو شتاء الموت ابدي دائم البقاء وهو امجد من كل ربيع نراهُ في هذه الدنيا شمسهُ الله ونحن فيهِ ملائكة

والصداقة الَّتي تمكَّنت ربطها في هذه الدنيا ألا تتبعنا الى الاخرى. على مَ لا تزيد عراها وثوقًا واحكامًا

الصداقة ربطت قلوب الناس في كل العصور ربطت قلوب الذين يرمون الى غرض واحد ولو اختلفت سبلهم ومناحيهم. هذه الصداقة لابد وان تتبعنا الى المرفإ الامين ترافقنا الى الربيع الابدي وتكون لنا خير ذكرى لحياة دنيا قضيناها في خريف هذا العمر"

والف وهو ولي العهد سيرة الملك كارلس الثاني عشر فعارض بها السيرة التي الفها لهُ ڤولتر في بلاغة عبارتها وفاقها في البحث وصدق الرواية

ولما توّج ملكًا على اسوج ونروج خطب في قومهِ فقال في جملة ما قالهُ اني اقتداء باسلافي العظام اخترت شعارًا لنفسي واني عالم حق العلم ان التاج الذي آل اليَّ لم يأْل لكي اباهي بهِ وافتخر بل لكي اسعى جهدي في مصلحة المملكتين المتآخيتين فان هذا هو الغرض الذي صرت لاجلهِ ملكًا ولذلك ساجعل شعاري Brödrafolkens Väl! فعسى ان يعبر هذا الشعار عن حبي الصادق للامتين اللتين اتحدتا في عهد سلفي العظيم وسعادتهما غايتي العظمى في هذه الحياة الدنيا وعسى ان يدل على ما اقصدهُ لهما بعون الله كملك لاسوج ونروج

ولقد بذل قصارى جهدهِ للتوفيق بين مصالح الامتين الامة الاسوجية والامة النروجية ومضى عليهِ الآن ثلاث وثلاثون سنة وهو يجاهد في هذا السبيل لكنهُ عجز عن نيل ما تمناهُ وسعى اليهِ جهدهُ لا لقصور منهُ ولا لقصور في الوسائل التي استخدمها بل لان الامتين متخالفتان في اللغة والمشارب والاميال ويستحيل التوفيق بين مصالحهما في كل شيء فتفاقم الخلاف رويدًا رويدًا الى ان انفصمت عُرَى الاتفاق حديثًا. وقد قال في هذا الشان ان الاتحاد الذي لا يرضى بهِ الفريقان كلاهما عن طيب نفس لا ينفع الفريق الواحد ولا الاخر

وكتب هو ومشيروهُ الى مجلس الامة النروجي يقول ان اسوج لا ترغب في اجبار نروج على البقاء معها لان هذا الاجبار لا يتم بغير حرب فتزول مزية الاتفاق الذي اساسهُ السلام والنفع العام ولذلك تفضل اسوج الانفصال على ان تضطر نروج على البقاء معها رغمًا عن ارادتها

وقد نشر الدكتور نَنسن الرحالة النروجي الشهير رسالة ضافية الذيول يبحث فيها عن

اسباب الخلاف الذي وقع بين اسوج ونروج وافضى الى التفريق بينهما بعد ان قضتا احدى وتسعين سنة متحدتين اتحادًا وثيق العرى ثابت الاركان . فأيد رأي قومهِ اهل نروج واستصوب الخطة التي جروا عليها في حل الخلاف ووافق على سعيهم الى انشاء دولة جديدة مستقلة عن الدولة الاسوجية استقلالاً تامًّا ما دامت سبل الاتفاق وعرة يتعذر الوصول الى غاية حميدة معها . وقال ان الاتحاد بين الدولتين لا يكون ثابتًا وطيد الاركان ولا يأول الى المصلحة العمومية الاَّ اذا روعي فيهِ استقلال كلٍّ من الفريقين وضمنت له الحريَّة المطلقة في ادارة مصالحهِ والتصرف في شؤُونهِ طبقًا للحقوق المخولة لكل دولة حرة مستقلة . وفي ما خلا ذلك فالاتحاد يجحف بحق فريق لمصلحة فريق آخر فيولد القلق والحذر ويثير الحقد والسخط لان الحر الكريم لا يرضى بالحيف ولا يحمل الضيم فيبدو النفور ويقع ولا تؤمن العواقب اذا تصدَّع صرح الاتحاد وتداعى الى السقوط . وعليهِ فاما ان تتحد المملكتان اتحادًا ثابتًا وطيدًا على القواعد التي اشرنا اليها واما ان تنفصل الواحدة عن الاخرى على وفاق ووئام وتسير كل منهما في الخطة التي ترى الصلاح فيها

وصدَّر الرسالة بفذلكة تاريخية ذكر فيها مآثر قومهِ سابقًا ولاحقًا فقال ليست نروج من البلدان التي لم تعرف الحضارة الاَّ حديثًا ولا وصلت اشعة العلم اليها الاَّ اخيرًا . فان النهضة النروجية قديمة العهد والتاريخ يدلنا على ان بلادنا توحدت وتنظمت الاحكام فيها منذ نيف والف سنة وانها كانت في مقدمة البلاد الاوربية حضارة ومكانة منذ سنة ٨٧٢ بدليل الآثار التي دوّنت لنا في التاريخ حين كانت ظلمات الجهل والغباوة لا تزال مخيمة على قسم كبير من البلاد الاوربية ولا سيما الشمالية منها وآثار اسوج في تلك الفترة مقصورة على سلسلة ملوك لم يؤثر عنهم شيء يخلد لهم ذكرًا في اخبار الدول وسير الرجال . على انهُ لما انقرض بيت الملك في نروج سنة ١٣٨٧ اتحدت اسوج مع نروج والدنمارك برئاسة ملك واحد . ثم انفصلت اسوج عنا سنة ١٥٢١ وبقي الاتحاد بيننا وبين الدنمارك حتى سنة ١٨١٤ . على ان كلاًّ من الفريقين كان مستقلاًّ استقلالاً تامًّا مستأثرًا بادارة جيشهِ وماليتهِ طبقًا لدستورهِ الخصوصي ولم تظهر نروج في مظهر دولة تابعة للدنمارك مطلقًا

وافاض في هذا المعنى مستشهدًا بالحوادث التاريخية ونص المعاهدات والاتفاقات الدولية الى ان قال على ان ملوك اسوج كانوا يطمعون بنروج ويسعون في ضمها الى املاكهم ولكن لم يتأتَّ ذلك الاَّ في فاتحة القرن الماضي . فان ملك اسوج عاهد القيصر اسكندر الاول على الانضمام اليهِ لمقاتلة نابليون وشن الغارة على فرنسا على شرط ان تفصل نروج عن

الدنمارك وتضم الى اسوج . فاجابهُ القيصر الى ذلك ووضعت معاهدة كيال التي منحت ملك اسوج — لا اسوج نفسها — ولاية نروج ولم يرد فيها شيءٌ يدل على انهم جعلوا نروج قسمًا من اسوج او مقاطعة تابعة لها بل كل موادها تدل على ان نروج تبقى حرة مستقلة وتسير طبقًا لشرائعها وحقوقها وامتيازاتها . ومع ذلك فالنروجيون ابوا ان يوافقوا على ما قضت بهِ تلك المعاهدة لانها أُبرمت بلا مشورتهم فحشد المرشال برنادوت جيشًا قويًا واغار على نروج فهب النروجيون لردهِ والذود عن الديار فرأى بعد اجتيازهِ الحدود النروجية باربعة عشر يومًا انهُ يتعذر عليهِ الاستيلاء على البلاد بالرغم عن اهاليها فنبذ طرق الاكراه وعوَّل على اللين والمجاملة ففاوضهم في الاتحاد مع اسوج على شروط معلومة فاجابوهُ الى ذلك وعقدت معاهدة موس في ١٤ اغسطس سنة ١٨١٤ وهي التي اتخذتها الامتان قاعدة لاتحادهما في خلال الاحدى والتسعين سنة الماضية . ومن انعم النظر في تلك المعاهدة يتضح لهُ انها ليست معاهدة بين غالب ومغلوب بل اتفاق بين دولتين متساويتين في الحقوق والامتيازات فان اسوج اعترفت فيها بان نروج دولة مستقلة وانهُ لا بدَّ من رضاها لعقد شروط الاتحاد بين الدولتين والوصول الى الغاية المقصودة منهُ وهي اتحادهما في الحرب والسلم . على ان تلك الغاية اصبحت مضمونة باجتماعهما تحت سلطة ملك واحدٍ ومن يقوم مقامهُ اذا حدثت فترة في الملك ونعني بذلك مجلس الامة الاسوجية . وعليهِ بقي لكل من الفريقين حق التصرف المطلق في شؤُونهِ ومصالحهِ الخصوصية التي لا تدخل في الاتحاد المشار اليهِ . على انهُ يظهر ان ذلك الاتحاد لم يأْتِ بالفوائد المنتظرة فان جو السياسية لم يصفُ تمامًا بين البلادين منذ ١٨١٤ الى يومنا هذا

والسبب الاول في ذلك اختلاف البلادين على طريقة ادارة الشؤُون الخارجية فانها نيطت بناظر الخارجية الاسوجية ولم يكن لذلك الناظر علاقة بمجلس النواب النروجي فكانت النتيجة ان زمام شؤُوننا الخارجية سلم الى رجل ليس في وسعنا ان نطلب منهُ حسابًا عن اعمالهِ عند الاقتضاء . ومما زاد النروجيين استياء من تلك الحال ان نروج اكثر تمسكًا بالهيئة الدستوريَّة من اسوج فالاسوجيون لا يزالون يتبعون تقاليدهم القديمة المبنية على مراعاة الطبقات بالنظر الى الاصل والفصل بينما النروجيون يسيرون على المبادىء الديمقراطية الحديثة فما يرضي اسوج لا يرضي نروج على ان الساعين الى التوفيق بين البلادين هوَّنوا الامر علينا اذ جعلوا ناظر الخارجية تابعًا للملك رأْسًا ولكن الامر لم يلبث على تلك الحال طويلاً فان الدستور الجديد الذي وضع في اسوج سنة ١٨٨٥ حرم الملك ذلك الحق وباتت مصالحنا الخارجية في يد رجل اجنبي لا رابطة لنا بهِ فاستاء النروجيون لذلك استياء شديدًا وعدوهُ

اجحافًا باستقلالهم وحقوقهم الدولية لانهُ من المقرر انهُ يجوز لهم عقد معاهدات واتفاقات دولية طبقًا لما تقتضيهِ مصالحهم الاقتصاديَّة بدليل انهم عقدوا معاهدات مختلفة بعضها بالاتفاق مع اسوج حيث اتفقت مصالح الامتين وبعضها بالانفراد عنها حيث تتفق تلك المصالح

اما مسألة القناصل فخلاصتها ان نروج طلبت ان يكون لها قناصل غير قناصل اسوج لرعاية مصالحها التجارية فوافقت اسوج على ذلك مبدئيًا ولكن نقطة الخلاف كانت في تعيين الرئيس الذي يرجع اولئك القناصل اليهِ ويستمدون سلطتهم منهُ فاصرَّت اسوج على ان يكون مرجعهم الى ناظر الخارجية وابت نروج ذلك قائلة ان ذلك الناظر موظف اسوجي لا علاقة لهُ بالشؤُون النروجية فاما ان تعود علاقة ناظر الخارجية بالملك الى ما كانت عليهِ سابقًا واما ان يعين ناظر خارجية ثانٍ لنروج فتعاظم الخلاف واشتدت الازمة الى ان بات الانفصال خير وسيلة لاصلاح الحال وتلافي الشر (انتهت خلاصة الرسالة نقلاً عن المقطم)

والامر واضح ان نروج ودت ان تنفصل عن اسوج برضى الملك لانها طلبت ان يكون احد اولادهِ ملكاً عليها وهو دليل قاطع على حبها لهُ واعترافها بفضلهِ ولما ابى ذلك نقل البرق في حينهِ ان النروجيين يتحدثون باختيار البرنس كارل الدنماركي ملكاً عليهم وهو ثاني اولاد ولي العهد في بلاد الدنمرك ولد سنة ١٨٧٢ واقترن بالبرنسس مود ابنة ملك الانكليز في ٢٢ يوليو فاذا تم ذلك جلست ابنة ملك الانكليز على سرير نروج وجلست ابنة عمها التي اقترنت بالبرنس جوستاف ادولف على سرير اسوج

وقد امتاز حكم هذا الملك العادل بالسعي المتواصل في مصلحة المملكتين فارتقتا زراعة وصناعة وتجارة وعلمًا وادبًا ولم يدخر وسعاً في البحث عما تحتاج اليهِ رعيتهُ فيطوف في الولايات ويحادث الناس ويتطلب الوقوف على الحقائق . وقد يقف فجأةً في اماكن البوليس يسمع محاكمة الذين أُخذوا في المخالفات . ومن رأيهِ ان الملك مضطرٌ الى تضحية اميالهِ الشخصيَّة لاجل مصلحة شعبهِ اذا اقتضت ذلك . وهو من اهل التقى والصلاح فلا يصعب عليهِ ان يحرم نفسهُ نفعًا لكي تنالهُ رعيتهُ . وقد وجد في زوجتهِ اكبر معين لهُ ولهما اربعة اولاد الاول البرنس غستاف ولي العهد وبكرهُ البرنس غستاف ادولف الذي اقترن حديثًا بابنة اخ ملك الانكليز . والثاني البرنس اسكار برنادوت وقد تنازل عن حقهِ في الملك لكي يقترن بفتاة ليست من الاسرة المالكة . والثالث البرنس كارل . والرابع البرنس اوجين

والملك مثال الفضيلة وطهارة السيرة والمحبة العائلية فوق ما هو ممتاز بهِ من الشهرة العلميَّة والادبيَّة

الفقر في بلاد الغنى

مهما يقل عن فقر العامل والفلاح في هذا القطر فانهُ لا يبلغ فقرهما في بعض الممالك التي يعدُّ اهلها في طليعة الامم غنى وجاهًا . ولا تشتد بهما الحاجة ولا يعضهما الجوع بنابهِ فيميتهما تضورًا او يحملهما على فعل ما فعل العمال في لندن عاصمة العواصم واعظم مدن الارض غنى واكثرها سكانًا . فقد ضاق باب الرزق في وجه الوف من العمال هناك هذه الايام فخرجوا الى الشوارع يحملون ادواتهم بايديهم و يسوقون نساءهم واولادهم امامهم سوق الانعام لعلَّ اولي الامر ينظرون ما صاروا اليهِ من الذل والفاقة فتأخذهم الشفقة عليهم و يرثوا لبلواهم ويخففوا الضيم عنهم

فاهتمت الحكومة بامرهم ووضعت مشروع قانون سمتهُ قانون الذين لا عمل لهم وعرضتهُ على مجلس النواب ليصادق عليهِ وينفذهُ . ولكن حدث ما أخر المصادقة عليهِ فاجتمع سبع مئة امراة انكليزية زوجات سبع مئة عامل وقصدن مجلس النواب ليقابلن رئيس الوزارة ويطلبن التعجيل في تنفيذ القانون المشار اليهِ . وكان كثيرات منهنَّ لابسات ملابس رثة وحاملات اطفالهنَّ على ايديهنَّ فلما بلغن المجلس استقبلهنَّ عضوان من اعضائهِ وابلغا المستر بلفور رئيس الوزارة امرهنَّ فطلب ادخالهنَّ اليهِ فدخلن وكنَّ قد عيَّنَّ امراة لمخاطبتهِ بالاصالة عن نفسها والنيابة عنهنَّ فقرأت امامهُ عريضة طلبت فيها ان يصادق على القانون برمتهِ . ثم قالت وقد أُخبرنا ان المجلس ينصرف بالاجازة في ١٢ اغسطس وليس قصدنا الآن لوم اعضائهِ ولكننا نقول بكل احترام ان حالتنا نحن واولادنا والوف مثلنا في طول البلاد وعرضها لا تقلُّ في اهميتها عن اهمية الاجازة لهم

فاجابهنَّ جوابًا قصيرًا مآلهُ ان الحكومة تبذل اقصى المجهود لحمل المجلس على المصادقة على القانون . لانهُ يعلم مقدار ما هناك من الضيم والشقاء

فقالت مسز تيلر (اسم المرأة التي انتدبت للكلام عن اخواتها) لست اظنك عالمًا بكل ما حلَّ بنا . فاجاب ان كنت لا اعلمهُ كلهُ فاني اعلم بعضهُ . ثم أبلغ النساء ان مدة المقابلة انتهت . وقابل الوفد السرهنري كمبل بنرمن زعيم الاحرار والمستر ردمند زعيم الارلنديين فطيبا خواطرهنَّ ووعداهنَّ انهما هما وحزبهما لا يعارضون في تنفيذ القانون

اما القانون المشار اليهِ فغايتهُ تكفُّل الحكومة بتدبير اعمال للعمال حينما يضطرون الى العطلة

نلسن ووقعة طرف الغار

اخبار الحرب في الشرق الاقصى اليوم وخصوصاً ما يأتيهِ اليابانيون فيها من الشدة والبأس مع الدهاء والتجربة المنجزة تجيل في الخيال صور الماضين من العظام حتى يتراءى للمرء ان ارواحهم تناسخت فظهروا اليوم باسم كروكي وطوغو وغيرهما . وقد اذكرني هذا البحري الياباني زميلهُ نلسن الانكليزي ووقعة طرف الغار فاحببت ان اذكرها لقراء المقتطف الاغر والشيء بالشيء يذكر

ولد نلسن في نور فوك من البلاد الانكليزيَّة سنة ١٧٥٨ وكان يميل الى اقتحام الامور العظيمة منذ نعومة اظفارهِ فطلب العيشة البحرية ودخل الاسطول سنة ١٧٧٠ فخدم الخدم الطيبة وامتاز بالابداع والهمة خصوصاً جرأة الصدر ساعة المخاوف والمعاطب حتى قال عنهُ الملك وليم الرابع انهُ "ربان صبي مع حماسة تدل على انهُ فوق المعتاد من الرجال" . ولما نشبت الحرب بين الانكليز والافرنسيس سنة ١٧٩٣ رأس نلسن اسطولاً صغيرًا وأُرسل الى البحر المتوسط ومع ان سفينتهُ كانت من احط سفن الاسطول اظهر من الجرأة والكمال في الصناعة البحرية ما جذب الانظار نحوهُ وجعلهُ محط الآمال . وقد كان لهُ الفضل الاعظم في حصار (باستيا) وتسليمها . ثم ان الدولة الاسبانية بعد اتحادها بالدولة الافرنسية شهرت الحرب على البلاد الانكليزيَّة سنة ١٧٩٦ فالتقى اسطولاهما الواحد بالآخر اتفاقاً قرب رأس سنت فنسنت وكان الاسطول الاسباني مؤلفاً من سبع وعشرين سفينة والاسطول الانكليزي من خمس عشرة فخرق امير البحر الانكليزي السر جون جرفس خط العدو وقطع منهُ تسع سفن فحاول امير البحر الاسباني رتق الفتق بدورانهِ حول مقدمة اسطولهِ ليتصل بما انفك عنهُ الَّا أن نلسن ساق سفينتهُ من مركزهِ في مؤخر الاسطول على رغم من رئيسهِ امير البحر وقطع على العدو سبيلهُ فاحبط مسعاهُ وكسرهُ شر كسرة ولولا ذلك لما فاز الانكليز بامنيتهم في الغالب وسُمع ينادي عسكرهُ في وطيس هذه الوقعة الهائلة "اما مقبرة وستمنستر واما الظفر" وكوفئ بعدها برتبة امارة البحر ولم يؤاخذ بخلع طاعة رئيسهِ السر جون جرفس

وقاد بونابرت قرب ذلك الزمن اسطولاً الى مصر ليهدد الانكليز بالتعرض لشؤون الهند فهاجمهُ نلسن عند ابي قير في ايار (مايو) سنة ١٧٩٨ وكانت النتيجة ان الاسطول الافرنسي

وهو موَّلف من ثلث عشرة سفينة لم ينجُ منهُ الَّا سفينتان فقط على ان سفنهُ كانت اعظم من السفن الانكليزية

وقد اقرت الدول العظمى لانكلترا بالسيادة البحرية منذ وقعة ابي قير هذه وكان الفضل الاعظم فيها لبراعة نلسن واقتدارهِ

ثم انهُ رأى ان نابليون يعد اسطولاً جديداً سنة ١٨٠١ لمهاجمة السواحل الانكليزية فهاجمهُ قبل ان يتم مشروعهُ وعقد معهُ معاهدة اميان التي بلغ بها من المكانة في قلوب الانكليز انهم صاروا يقرون لهُ بالرئاسة في البحرية الانكليزية

ومما ينتقد عليهِ في هذه الاثناء صحبتهُ امرأة السير وليم هاملتن التي اشتهرت بجمالها فلم يقدر على اخفاء ما يكنُّهُ لها لان الجنس اللطيف — وخصوصاً من كان مثل محبوبتهِ — كان يفعل بهِ ولا فعل الطلسمات المسطرة في كتب الاوائل فعانى منها التعب وجرت عليهِ صحبتها بعض القلاقل حتى اضطر ان يطلق امرأتهُ

لكن ذلك لم ينقص من قدرهِ شيئاً عند تجدد الحرب سنة ١٨٠٣ فانهُ رأس العمارة في البحر المتوسط فرسا قرب طولون وحصر الاسطول الافرنسي داخل المرفإ سنتين على ان اضطراب الجو وسعي العدو في الهرب وطول زمن الحصار مما لا يثبت عليهِ الَّا امثال نلسن. وكان نابليون في هذه الاثناء يجيش الجيوش ويجمع الاساطيل قرب بولونيا لشن الغارة على البلاد الانكليزيَّة فأفلت الاسطول الافرنسي من حصارهِ في اواخر آذار (مارس) سنة ١٨٠٥ وقصد اميرهُ المسيو ڤيلنوڤ جمع اسطول اسباني وقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي الى جزر الأنتيل ثم الرجوع الى الشطوط الاوربية لانتياش ما بقي من الاساطيل الافرنسية تحت الحصار ثم الوصول الى بولونيا للاتحاد بنابليون. اما نلسن فانهُ تعقبهُ لكن عاقهُ عن اللحاق بهِ تفتيشهُ عنهُ في اميركا الجنوبية وغيرها وقيام الاعاصير في سبيلهِ فارسل بعض السفن الخفيفة لتخبر امارة البحر الانكليزية بتقدم اسطول العدو نحو شطوط اوربا فبعثت هذه من اضطرهُ ان يلتجئ الى فرول. اما نلسن فانهُ لما خفي عنهُ موقع ڤيلنوڤ وقارب الشطوط الاوربية ذهب الى بلاد الانكليز فانتهز ڤيلنوڤ الفرصة وفر من فرول الى قادش في الجنوب مخالفاً مقاصد رئيسهِ نابليون فلما أُشعرت البحرية الانكليزية بالامر جعلت نلسن رئيساً على اسطول كبير وارسلت معهُ امير البحر كولنغود ليهاجما العدو في ملجإهِ فجرت هنالك وقعة طرف الغار الشهيرة شطر موضوعنا وهاك خلاصتها مأْخوذة عن سوثي واوكنور مورس وغيرهما

وقعة طرف الغار

في الرابع عشر من ايلول باكرًا رجع نلسن الى پورتسموث وبعد ما قضى بعض الشؤون على الشاطئ سعى في الوصول الى البحر بطريق معزولة لعلهُ يتخلص من زحمة جمهور المودعين غير انهُ وقفت في طريقهِ عصابة منهم كانت تتقدم الى الامام لتلمح وجههُ وكثير منها كان يغسل خديهِ بماء عيونهِ ويضرع الى الله طالبًا لهُ البركة

كان لانكلترا عدد من الابطال كبير لكنها لم يكن لها احد بلغ بهِ حب بني ملتهِ ما بلغ حب نلسن لهم وكلهم كانوا يعلمون ان قلبهُ مفعم بالرأفة والانسانية كما هو خالٍ من شوائب الخوف وانهُ لم يكن في فطرتهِ اقل صبغة انانية او طمع بل انهُ خدم بلادهُ بكل ما في وسعهِ بقلبهِ وروحهِ وقوتهِ مع الغيرة الخالصة والجنان الثابت لذلك كانوا يحبونهُ بصدق واخلاص كما كان يحب بلاد الانكليز

وبعد ما قطع نلسن في البحر شوطًا بعيدًا وقارب قادش وعلم ان ڤيلنوڤ لا يخرج الى عرض البحر ما دامت قوة الانكليز تقارب قوتهُ امر ثمانيًا من سفنهِ ان تختفي عن العيان ليستدرج عدوهُ ويستفزهُ الى الحرب فجازت عليهِ الحيلة وعند طلوع الفجر شوهد الاسطول الافرنسي مع حليفهِ الاسطول الاسباني من ظهر سفينة "ڤكتري" سفينة نلسن على شكل خطين متوازيين وكان الاسطول الانكليزي مؤلفًا من سبع وعشرين سفينة واربع بوارج واسطول العدو من ثلاث وثلاثين سفينة وسبع بوارج كبيرة وافضليتهُ من جهة الكبر والضخامة اكثر مما هي من جهة العدد وقد حملت سفنهم من العساكر نحو اربعة آلاف شرذمة نخبة من رماة بالبنادق

اما نلسن فانهُ صعد الى ظهر سفينتهِ بعد الشروق تمامًا وكان هذا اليوم (اليوم الحادي والعشرون من اكتوبر) يوم عيدٍ في اسرتهِ لان عمهُ قهر في مثلهِ اسطولاً افرنسيًا اكبر من اسطولهِ . وكان نلسن يتفاءل بهِ ويظن انهُ يكون يوم مجالهِ ايضًا وامثال هذه الخرافات قلما يخلو منها احد تمامًا

وكان الهواء حينئذٍ نسيمًا خفيفًا مع هباتٍ شديدة تهب من الغرب . وقد اشير الى الاسطول بالحملة على العدو بخطين فرفعت الاشرعة وكان كولنغود على امرة خط الوقاية (المقابل لجانب مهب الريح) ومعهُ اربع عشرة سفينة ونلسن على خط الريح ومعهُ خمس عشرة سفينة ولما راى هذا ان الامور طبق مرغوبهِ ذهب الى مقصورتهِ وكتب الدعاء الآتي: —

"يا الهًا عظيمًا اعبدهُ تعطف بالنصر على بلادي وعلى مصلحة اوربا عمومًا وليكن هذا

النصر المنتظر خالياً من اقل سوء تصرف يشوبهُ ولتكن الانسانية بعدهُ سائدة في الاسطول البريطاني اما انا فانني اسلم نفسي للذي خلقني ولتهبط بركاتهُ على اجتهادي في خدمة بلادي ولهُ افوض امري والامر العادل الذي خولتهُ لاحميهُ . آمين"

ثم صعد بلاكوود الى سفينة " ڤكتري " نحو الساعة السادسة فسأله ُ نلسن بعد ما شام مخايل الخير وتوسم حسن المنقلب ووطد نفسهُ على اسر عشرين سفينة على الاقل وان كان العدو منيعاً "هل يوجد في الاسطول البريطاني نقص في الاشارات الحربية " فقال بلاكوود انهُ يظهر لهُ ان الاسطول يفهم موقعهُ فهماً واضحاً وما كاد يتم جملتهُ هذه حتى اشار نلسن الى الاسطول باشارة نهائية ستخلدها الايام ما خلدت لغة الانكليز او ذكرهم وتلك الاشارة عبارتهُ المأثورة "ان بلاد الانكليز تتوقع من كل رجل قيامهُ بواجبهِ "فاجاب الاسطول هذه الاشارة بهتاف شديد . ذكر المؤرخون ان ڤيلنوڤ قال لما سمع هذه الجلبة الانكليزية " هلكنا وقضي الامر " قال نلسن " الآن لا اقدر ان اقوم باكثر مما فعلت . يجب علينا ان نفوض امورنا وحجتنا العادلة لمجري الامور جلَّ وعلا واني اشكرهُ على هذه الفرصة العظيمة فرصة القيام بالواجب "

ولبس في ذلك اليوم لباسهُ الرسمي كالمعتاد وعلى صدرهِ عن اليسار اربعة اوسمة احرزها وقد تطيَّر ضباطهُ منها لانها تجعلهُ شحمة الآكل وغرض الرامي خصوصاً لما كانوا يعلمون من وجود احسن الرماة بالبنادق في الاسطول الافرنسي . فبث بعضهم لبعض خوفهُ وودوا لو يقنعهُ احد بتغيير لباسهِ لكنهم علموا ان مثل هذا الكلام يثير غضبهُ . ففي احد مواقعهِ الغابرة لما اشير عليهِ بمثلهِ قال " بالشرف احرزتها وبالشرف اموت معها "

وكانت خطة نلسن ان يقطع خط العدو من نقطتين لان ذلك يكون احسن مغبة واشد تأثيراً مما لو قطعهُ من نقطة واحدة ما دام عدد الاساطيل المحاربة كبيراً وقدَّم مراكبهُ الى الشمال ليقطع على العدو خط الانفلات الى قادش ومن ثم كان كولنغود مفتاح الحرب وقد اعجب بهِ نلسن وغبطهُ على انهُ السابق في معمعان هذه الموقعة

ثم صوَّب العدو مدفعاً مفرداً على سفينة ڤكتري وبقي يطلقهُ حتى راى انهُ خرق شراعها الاوسط ثم صوَّب عليها مدافعهُ الجانبية مخصصاً منها حبال صواريها لعلهُ يعطلها قبل ان تلتحم بهِ وقد رفع نلسن اعلاماً عديدة كالعادة حتى اذا اتلف واحد منها يقوم مقامهُ غيرهُ اما العدو فانهُ اخفى اعلامهُ

وفي الاثناء اتجهت سفينة ڤكتري نحو احدى السفن الافرنسية الكبيرة فكانت النيران

الجارفة تنزل عليها متوالية وكان كاتب الاميرال من اول فريساتها اصابتهُ قنبلة وهو يتحادث مع هاردي الربان فاختطفتهُ من بين اصحابهِ وصيرتهُ الى اعمالهِ . ثم اصابت قنبلة أُخرى جماعة من البحارة قتلت منهم ثمانية فطلب نلسن من الربان ان يفرق رجالهُ في السفينة

وبعد بضع دقائق اصابت رمية نارية العمودين اللذين تربط بهما اطراف عوارض الصاري في مؤخر السفينة ومرت بين نلسن وهاردي واصابت شظية من العمودين الثاني فرضت رجلهُ فوقف كلٌّ منهما يتأمل صاحبهُ وقد ظنَّ انهُ جرح فتبسم نلسن وقال "بلغت الشدة بهذا العمل يا هاردي انهُ لا يدوم طويلاً"

اما سفينة ڤكتري فانها ما ردت على عدوها حتى ذاك الحين شرارة من شراراتهِ على ان خمسين من بحارتها اضحوا بين قتيل وجريح وصاريها المقدم انقضَّ مع اشرعتهِ واقطابهِ وقد صرَّح نلسن انهُ ما رأى في كل ما مرَّ عليهِ من العظائم شيئًا يفوق هذه الشجاعة الهادئة شجاعة بحارتهِ في هذا الحادث المدلهم . وبعد الظهر بهنيهة اطلقت ڤكتري نيرانها على العدو من جانبها

وكان يستحيل على نلسن خرق خط العدو ما لم يستولِ على سفينة من سفنهِ فامر مدير سفينتهِ ان يديرها نحو سفينة للاعداء كبيرة تدعى ردوتابل (هائلة) فاصلتها هذه نارًا حامية صبتها عليها صبة واحدة ثم اغلقت كوات مدافعها فجأة خشية ان يدخل منها الانكليز ومنذ ذلك الحين لم يسمع لها طلق واحد من العيارات الضخمة

ويذكر القارئ ان قسماً من دعاء نلسن كان ان يمتاز الاسطول البريطاني بالانسانية في النصر المنتظر ولكي يعطي لذلك مثالاً بنفسهِ ويعلم مكارم الاخلاق اعطى الاوامر مرتين باماطة الاذى والكف عن الردوتابل لانهُ ظنها سلمت ولم يكن لديهِ شيء آخر غير سكوتها يثبت لهُ امر التسليم لانها لم يكن لها راية وقد جاءهُ القضاء وعاجلهُ حمامهُ منها بعد ما حماها مرتين . فان قنبلة اطلقت من قلعة صاريها المؤخر اصابتهُ في كتفهِ اليسرى فوق رباطهِ العسكري على بعد خمسة عشر يردًا فانكب على وجههِ في البقعة التي تلطخت بدم كاتبهِ

وكان هاردي على بعد بضع خطوات منهُ ولما التفت اليهِ وجد ثلاثة رجال يحملونهُ فقال نلسن "قد وقعت انا ايضًا يا هاردي" فقال "ارجو ان لا يكون ذلك" فاجابهُ "نعم ان سلسلتي الفقرية اخترقت" ولم يغب وعيهُ حتى ذلك الحين لحظة واحدة ولاحظ وهم ينزلونهُ على السلم ان حبل الدفة الذي كان اتلف لم يغير فامر بتجديدهِ . ثم غطى وجههُ واوسمتهُ بمنديلهِ كيلا تراهُ البحارة

وكان مستشفى السفينة طافيًا بالجرحى والمحتضرين فلما نقلوا نلسن اليهِ لاقوا منهم بعض

الصعوبة . ثم انهم وضعوهُ في محل المنامة الاوسط وقد تبين بعد ذلك ان الضربة قاضية فأخفي هذا عن الكل الاَّ هاردي وقسيس السفينة والمطببين . وقد تحقق هو من الشعور الذي حدث في ظهرهِ ومن اندفاق الدم في صدرهِ ان لا اعتناء ولا تطبب يجديانهِ نفعاً فامر الجراح ان يفارقهُ الى من يرجى لهُ النفع منهُ وكان كل ما يمكنهم عملهُ ان يروحوهُ بقطع الورق و يسقوهُ كوبات من شراب الليمون ليطفئ ظمأهُ الشديد

وكان وجعهُ شديداً جدًّا وقد اظهر اهتمامهُ بماجريات الحرب التي ابتدأت تنكشف وكانت بحارة فكتري تهتف كلما سلمت سفينة من سفن الاعداء وكان لكل هتاف اثر استبشار في وجه البطل المحتضر يومض في عينيهِ

وبعد ساعة وعشر دقائق من جرح نلسن عاد اليهِ هاردي فتصافحا ساكتين وحاول هذا ان يتغلب على شعورهِ في مثل هذه الساعة المؤلمة لكنهُ عبثاً يحاول . قال لهُ نلسن "كيف حال الاقدار معنا اليوم" فاجابهُ جيدة جدًّا . قد سلَّمت عشر سفن وغيرت طريقها خمس من مقدمة الاسطول تريد الحملة على سفينتك وقد دعوت اثنتين او ثلاثاً من سفننا لردها ولا اشك انني اسحقها" فقال نلسن "ارجو لك ذلك". وسأَلهُ هل سلمت سفينة من السفن الانكليزية فاجابهُ "لا خوف من هذا الامر"

ثم تكلم نلسن في نفسهِ وقال "اصبحت ميتاً يا هاردي وسينتهي بي الامر قريباً". فاظهر هاردي املهُ ان يكون عند الجراح امل بالبقاء فاجاب نلسن "كلا هذا يستحيل لان ظهري خرق وسيخبرك الجراح بهِ" ثم صافحهُ هاردي مرة ثانية وفارقهُ الى ظهر السفينة بقلب يكاد يمزقهُ الاسى

وفي اثناء ذلك فقد نلسن كل شعور مما دون صدرهِ من جسمهِ وبعد ما اخبر الجراح بهِ قال لهُ "انت تعلم انني مضيت الى سبيلي وانا اعلمهُ واني اشعر بشيء يصعد في صدري (واضعاً يدهُ على يسارهِ) يدلني" ولما سأَلهُ الجراح عن المهِ اجابهُ "بلغ بي الالم انني افضل لو كنت ميتاً لكن الرجل في موقفنا (بصوت اخف) يود لو يمتد اجلهُ هنيهة اطول"

وبعد ان غاب الربان هاردي عن المستشفى خمسين دقيقة عاد اليهِ وصافحهُ مرة ثانية وهنأَهُ بالنصر التام على الاعداء واخبرهُ انهُ يجهل عدد السفن التي سلمت لكنها على الاقل اربع عشرة او خمس عشرة فقال نلسن "حسن ولكني سمتُ العشرين". ثم قال بصوت اشد "الق المراسي يا هاردي القها" فاشار اليهِ ان الاميرال كولنغود يأخذ ادارة الامور على نفسهِ فقال "لا يكن ذلك وانا حيٌّ القِ المراسي القها"

ثم دعا اليهِ هاردي وقال لهُ بصوت منخفض " لا تقذف بي من السفينة " واظهر رغبتهُ في ان يقبر قرب والديهِ ما لم يرَ الملك خلاف ذلك. ثم عاد الى الخصوصيات فقال " قبلني يا هاردي " فانحنى عليهِ وقبلهُ من خدهِ فقال نلسن " الآن قد اكتفيت اني اشكر الله على قيامي بواجبي " فوقف هاردي فوقهُ دقيقة او دقيقتين لا ينبس ببنت شفة ثم انحنى عليهِ وقبلهُ مرة ثانية وفارقهُ فراقاً لا لقاء بعدهُ

وأحب نلسن الآن ان يقلب ذات اليمين وقال " ليتني لم اترك ظهر السفينة لأن الامر سينتهي بي قريباً " وكان الموت يقترب منهُ مسرعاً واصبح لفظهُ ثقيلاً لكنهُ سُمع يقول بوضوح " اشكر الله قد قمت بواجبي " وبقي يردد هذه الجملة حتى كانت اخر كلامهِ وفارق دنياهُ في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين اي بعد ثلاث ساعات وربع من اصابتهِ

وكان قد سقط بعد جرح نلسن بنحو ربع ساعة ما ينيف على الخمسين من عسكر فكتري ببنادق العدو ولم يمضِ طويل حتى لم يبقَ على صاري الردوتابل المؤخر غير اثنين فقط احدهما قاتل نلسن لكنهُ لم تطل حياتهُ ليفتخر بفعلتهِ فان ضابطاً انكليزيًّا مسنًّا عرفهُ من قبعتهِ فدلَّ عليهِ من قتلهُ وهو يطلق النار والثاني قتل وهو يحاول النزول الى السفينة . ولما سلمت الردوتابل وُجد قاتل نلسن ملقى على قلعة الصاري وقد اصابتهُ رصاصة في صدرهِ واخرى في رأسهِ . اما خسائر الانكليز في وقعة طرف الغار فقد بلغت الفاً وخمس مائة وسبعة وثمانين رجلاً وسلم العدو فيها عشرين سفينة لكنهُ كان يستحيل على الاسطول القاء المراسي كما اشار اليهِ نلسن فإن عاصفة هبت من الجنوب الغربي غرق بسببها بعض المسلوبات والبعض الآخر ذهب الى الشاطىء والبعض اتلف وواحدة افلتت الى قادش ولم يسلم للانكليز الَّا اربع سفن بعد الجهد

وكانت وفاة نلسن اشد تأثيرًا على الامة الانكليزية من فاجعة عمومية فان الناس ارتاعت عند سماعها واصفرت وجوهها كأنها فقدت صديقاً حميماً وبلغ ما عملهُ نلسن من الاتقان ان الحرب البحرية بعد طرف الغار عدت منتهية وان بحر المانش الذي كان يسميهِ نبوليون " خندقاً رطباً " بات سدًّا منيعاً يزري بسد الاسكندر الكبير

دمشق عبد الرحمن شهبندر

ايضاحات لُغوية

الايضاح الثالث

في ان اللغويين لم يلتزموا تفسير اسم الجنس باسم الجنس ولا تفسير الواحد بالواحد

من تصفح كتب اللغة رأى ان اللغويين الاولين لم يلتزموا تفسير اسم الجنس باسم الجنس ولا تفسير الواحد بالواحد . وهنذا اسوق اليك ادلةً من كلامهم مما رواهُ صاحب اللسان والجوهري والزبيدي والفيروزابادي تثبت لك صحة ما اقول (١) جاء في اللسان (الملاَّح) حمضة مثل القلام فيهِ حمرة يؤكل مع اللبن و (٢) قال ابن بري (النيتون) شجرة خبيثة منتنة وقال ابو عبيدة (النيتون) شجر منتن و (٣) قال ابن شميل (الاراك) شجرة طويلة خضراء ناعمة الورق وفي اللسان (الاراك) شجر معروف و (٤) في اللسان (الهيتم) شجرة من شجر الحمض جعدة و (٥) (الهفَّة) السحاب لا ماء فيهِ وفي القاموس (سحابة هفّية) لا ماء فيها و (٦) قال في الصحاح (النُّعَرة) مثال هُمَزة . ذباب ضخم ازرق العين اخضر وقال ابن منظور (النعر) ذباب ازرق يدخل في انوف الحمير والخيل . وقال الاحمر (النعرة) ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها و (٧) (الخورَم) صخور لها فروق الواحدة خورمة و (٨) (الدمث) السهول من الارض و (٩) (الزارّة) الذبابة الشعراء وفي بعض النسخ الذباب ومثلهُ في التكملة و (١٠) في التكملة ايضاً (الشرْجبان) شجرة مشعانة وقال ابن الاعرابي (الشرْجبانة) بالضم وقد تفتح شجرة مشعانّة و (١١) في اللسان والتاج (الرَشأ) شجرة تسمو فوق القامة . وعشبة الواحدة رَشأة و (١٢) في الصحاح (الحنتم) الجرَّة الخضراء وفي اللسان (الحنتم) جرار خضر تضرب الى الحمرة الواحدة حنتمة و (١٣) في التهذيب للازهري (عَنالِيُّ الحلي) ثمرتهُ اذا ابيضَّت ويبست و (١٤) (الحبن) شجرة الدفلى و (١٥) (الطلح) شجرة الخ عن ابن شميل . قلت الاولى ان يُفسَّر اسم الجنس بمثلهِ مراعاةً للمطابقة على ان اللغويين الاولين ما كانوا ليستعملوا الوجهين الأ وهم على بينةٍ من صحة كل منهما فتفسير اسم الجنس بالواحد وبعبارة اخرى تفسير الجمع بالمفرد انما هو باعتبار ان اسم الجنس يطلق على الواحد اتساعاً فيكون من ثمة من باب تفسير المفرد بمفرد مثلهِ . وعلى هذا خرجهُ ابن جني وقال هذا كما في خرجت فاذا السبع

غير ان الذين انتقدوا القاموس لم يحفلوا بهذا التخريج أو لم يخطر لهم على بالٍ وعندي انهُ

كلما استطعنا اقامة دليل على جواز صورةٍ من صور التعبير نكون كمن وهب الكاتب هبةً تخرجهُ من الشدة وتنقلهُ من الضيق الى السعة

الايضاح الرابع

في اختلاف اللغويين في الاطلاق والتقييد

اكثر ما ينشأ هذا الاختلاف عن التدقيق والتسامح فمن دقَّق النظر قيَّد ومن تسامح أطلق ثم جاء المتأخرون فمن اطَّلع منهم على كلام اهل التدقيق رواهُ كما رآهُ ومَن لم يظفر الاَّ بكلام المتسامحين نقلهُ كما وجدهُ . واما من ظفر بكتب الفريقين فلا مراء انهُ يختار تفسير المدقّقين

واعلم ان هذا التقييد قد يكون راجعاً الى معنى الحرف . وقد يكون راجعاً الى انهُ لغة نبيلة . او الى انهُ غير ثبت كما ترى فيما أُروي لك من الامثلة المنقولة عن كتبهم

قال المجد والفيومي في مادة (ش ح ن) الشحْناء : العداوة وقال الراغب في مفرداتهِ الشحناء : عداوة تملأُ النفس

وقال المجد في مادة (ا ر ز) الأَريز : اليوم البارد وقال ابن منظور . يوم أَريزٌ : شديد البرد . وقال المجد في مادة (ع ص م) العصام : الكحل وقال بعضهم العصام : الكحل في بعض اللغات

وفي مادة (ك د م) من القاموس الكَدَمة : الحركة : وفي اللسان الكَدَمة : الحركة عن كراع . وليست بصحيحة

وفي مادة (ع ض ب ل) من القاموس العضبل : الصلب وزاد الشارح " حكاهُ ابن دريد عن اللحياني وقال ليس بثبتٍ "

وفي مادة (ق ف ع) من القاموس . القُفَّاعة . بالضم : شيء يتخذ من جريد النخل ثم يقذَف بهِ على الطائر فيصاد

وزاد الشارح قال ابن دريد هي كلمة عراقيَّة ولا احسبها عربية

وفي مادة (ف ر ع) من القاموس أُفرع بسيد بني فلان بالضمّ : اخذوهُ وفي اللسان افرع بسيد بني فلان : أُخذ فقتِل . وفي الاساس في مادة (ف ر ق فرَق لي الطريقُ فروقاً وانفرقَ انفراقاً : اتَّجه لك طريقان واستبان ما يجب سلوكهُ منهما . وفي اللسان والصحاح والقاموس فرَقَ لهُ الطريقُ : اتَّجه لهُ طريقان

وفي مادة (ب خ ت) من القاموس البخيت المحظوظ . وزاد في اللسان قال ابن دريد ولا احسبها فصيحة

وفي مادة (و ب ر) قال الصاغاني الوبار : شجرة حامضة تكون بتبالة . وفي القاموس شجرة حامضة شاكة تكون بتبالة . قال في التاريخ "نقله الصاغاني ولم يقل شاكة وكأن المصنف زاده لبيان التسمية كأن شوكها الصغير مثل الوبر . وتبالة ارض معروفة"

الايضاح الخامس

في التوجيهات اللغوية

اعلم ان مدار التوجيهات اللغوية على الاشتقاق او المجاز اوالقلب او الإبدال . فمن التوجيهات المبنية على الاشتقاق (١) ما جاء في مادة (ان س) من اللسان قيل للانس إنس لأنهم يبصرون كما قيل للجن جنٌّ لانهم لا يؤنسون اي لا يبصرون

و (٢) ما جاء في مادة (اوب) من التاج الأوب النحل قال ابو حنيفة سميت أوباً لا يابها الى المباءة

و (٣) ما جاء في مادة (ش ب ك) الشبك محركةً اسنان المشط لتقاربها و(٤) ما ورد في مادة (ان ي) من اللسان الإناء الذي يرتفق بهِ وهو مشتق من ذلك (اي من الإنى بمعنى النضج والادراك) لانهُ قد بلغ أن يعتمل بما يعانى بهِ من طبخ او خرز او نجارة

و (٥) ما ورد في مادة (ه ل ل) الهلال سمي هلالاً لأن الناس يرفعون اصواتهم بالاخبار عنهُ

و (٦) ما ورد في مادة (ه و س) الهوس المشي الذي يعتمد فيهِ صاحبهُ على الارض اعتماداً شديداً ومنهُ سمي الأسد الهوّاس

و (٧) ما ذكرهُ الراغب في مادة (س ر ر) في مفرداتهِ وهو قولهُ السرير ما يجلس عليهِ من السرور اذ كان ذلك لأولي النعمة وسرير الميت تشبيهاً لهُ في الصورة

و (٨) ما قالهُ ابن منظور في مادة (وزر) في اللسان الوزير في اللغة اشتقاقهُ من الوَزَر. والوزر الجبل الذي يعتصم بهِ لينجي من الهلاك وكذلك وزير الخليفة الذي يعتمد على رأيهِ في اموره ويلتجئ اليهِ . وقيل قيل لوزير السلطان وزير لانهُ يزرعن السلطان اثقال ما اسند اليهِ من تدبير المملكة اي يحمل ذلك وفي الصحاح الوزير الموازر كالأكيل المواكل لانهُ يحمل عنهُ وزرهُ اي ثقلهُ

و(٩) ما جاء في مادَّة (س رد) من اللسان ونصهُ السرْد اسم جامع للدروع وسائر الحلق . سمي سَرْدًا لانهُ يسرَد فيثقب طرفا كل حلقةٍ بمسمارٍ

و(١٠) ما ورد في مادة (و ز ع) الاوزاع بطون من حِمْيَرَ . سمُّوا بهذا لأنهم تفرَّقوا

و(١١) ما جاء في اللسان في مادة (ع ف ر) العِفرناة اما ان يكون من العفَر الذي هو التراب . واما يكون من العفْر الذي هو الاحتفار . واما ان يكون من القوَّة والجلد

و(١٢) قول صاحب اللسان في مادة (ا م م) المؤامّ بتشديد الميم المقارب . أُخذ من الأَم وهو القرب يقال هذا امرٌ مؤامّ

و(١٣) قول صاحب اللسان ايضاً في مادة (ص د ي) فلان يتصدَّى لفلان مأْخوذ من اتّباعهِ صَداه' اي صوتهُ

و(١٤) قول صاحب التاج في مادة (ح و ل) الحول السنة اعتبارًا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها

و(١٥) قول صاحب اللسان في مادة (ث غ ر) ومنهُ قيل للموضع الذي تخاف ان يأْتيك العدو منهُ في جبل او حصن ثغر لانثلامهِ وامكان دخول العدو منهُ

و(١٦) ما ورد في مادة (ح ط م) سميت النار الحطمة لانها تحطم كل شيء

سعيد الخوري الشرتوني

بين روسيا واليابان

عقد الصلح والغرامة

كتب احد كبار الكتاب مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزيَّة قال فيها ما خلاصتهُ

لا تمضي بضعة اسابيع من كتابة هذه السطور حتى تبيت روسيا ولا قِبَل لها بالاستمرار على الحرب وماذا تفعل حينئذٍ أتعقد الصلح ام تخلي منشوريا وشرقيّ سيبيريا وتسترجع بقية جيشها الى اركتسك كما تهددت وتوعدت ان تفعل واذا عقد مؤتمر الصلح فماذا يكون سلوك روسيا فيهِ وماذا تكون مطالب اليابان . ومتى يسوَّى بين الخصمين وكيف تكون التسوية وما تكون نتائجها . هل يعقب الحرب الحاضرة سلسلة حروب طويلة بين روسيا واليابان

لا تنقطع لها حلقة وتبقى منشوريا عظمة الخلاف بينهما قرونًا طوالاً وارضها ساحة للقتال والجلاد وتطاعن الاقران

هذه اهمّ المسائل التي تسأل في الاندية السياسية الآن بل ربما كانت اهمّ مسائل القرن الحاضر

اما اليابان فلم تعلن مطالبها بعدُ . فهي تحذر اعلانها قبلما تعترف روسيا بضرورة عقد الصلح وتعزم حقّ العزم على عقده حالاً وتقرّ انها مغلوبة . ثم ان الشروح التي تعلقها الجرائد الموالية لروسيا في كلّ بلاد على شروط الصلح قد تجرّئ روسيا على مقاومة مطالب اليابان جهد الامكان والمطاولة في مفاوضات الصلح الى ما لا حدّ لهُ . فلذلك رأت اليابان ان الاعتصام بالفطنة والتأني خير ما يليق بها في الاحوال الحاضرة

وان تكن اليابان قد أبت ان تبوح بمطالبها الى الآن حتى لخلّص اصدقائها ومعتمديها خارج بلادها الاَّ انهُ لا يعسر علينا كثيرًا ان نعرف اقلّ تلك المطالب فان اليابان لم تحارب حرب فتح واعتداء بل حرب دفاع عن وجودها واستقلالها وحقوقها . وقد غلبت روسيا اتمّ الغلبة برًّا وبحرًا ولكنها لا تريد ارهاقها ولا هو من مصلحتها ان تضعفها وتذلّها . بل بالضد من ذلك لانهُ اذا قويت روسيا وصادقت اليابان عاد ذلك على اليابان باعظم الفوائد . وليس للانتقام والاخذ بالثار محلّ في السياسة الصحيحة الرشيدة حيث العقل الاول والعواطف المحل الثاني لان السياسة الرشيدة مبنية على مبادئ تجارية وقواعد اخذ وعطاء دقيقة

هذا ولما كانت اليابان تحارب حرب دفاع حُقّ لها اولاً ان تطلب عوضًا ماليًّا عن النفقات والخسارة التي جرّها اعتداء روسيا عليها وهو حقّ لا ينازعها فيهِ احد . وحقّ لها ثانيًا ان تطلب ضمانًا كافيًا يجعل هجوم روسيا عليها في الاستقبال ومحاربتها لها اخذًا بالثار امرًا مستبعدًا ان لم يكن مستحيلاً

وليس تقدير الغرامة المالية التي تطلبها اليابان بالامر السهل اذ لا يعلم احد متى يعقد الصلح وكلّ يوم يمرّ قبل عقدهِ يزيد مقدار الغرامة طبعًا . ولعلّ من العدل والصواب ان يقال ان نفقات اليابان في الحرب الحاضرة تقارب مجموع الديون التي استدانتها والقروض التي عقدتها مدة الحرب ولها . ويضاف اليها مقدار من المال عوض ما المّ بها من الخسارة بسبب الحرب والنفقات الحربية التي لا بدّ لها من انفاقها بعد عقد الصلح . وهذا بيان الاموال التي استدانتها اليابان للحرب داخلاً وخارجًا

قروض داخلية

زيادة الدخل . والوفر	٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠ ين
زيادة الضرائب . واحتكار الدخان	٦٢ ٠٠٠ ٠٠٠ "
اموال اقترضت من مصالح الحكومة المختلفة ومن الحسابات الخصوصية	٥٥ ٠٠٠ ٠٠٠ "
قرض عقد في ١٣ فبراير ١٩٠٤	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
" " ٢٣ مايو "	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
" " ١٢ اكتوبر "	٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
" " ٢٧ فبراير ١٩٠٥	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
" " ٢٠ ابريل "	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
المجموع	٦٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠ "

او ٦٤٥٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي (الين نصف ريال مصري)

قروض خارجية في لندن ونيو يورك

قرض عقد في ٩ مايو ١٩٠٤	١٠٠٠٠٠٠٠ جنيه
" " ١٠ نوفمبر "	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠ "
" " ٢٦ مارس ١٩٠٥	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠ "
المجموع	٥٢ ٠٠٠ ٠٠٠ "

ومجموع المجموع ١١٦٥٠٠٠٠٠ جنيه . اي ان هذه الحرب كلفت اليابان من اولها الى الآن اكثر من ١١٦ مليونًا من الجنيهات وذلك ما عدا الخسارة التي نالتها في الحرب كما تقدم. منها خسارة الرجال بين من افقدتهُ الحرب احد اعضائهِ فبات عالة على اهلهِ ومن راح قتيلاً فترك ارامل ويتامى لا بدَّ لاهلهم ان يعولوهم وان لم يكن لهم اهل فالحكومة . وعليهِ فلا غنى للحكومة اليابانية ان تنظر في هذا الامر وتحسب حسابهُ عند اقتضاء الغرامة من روسيا

ولا يعلم بالتحقيق عدد الرجال الذين افقدتهم الحرب بعض اعضائهم فباتوا لا يستطيعون عملاً ولا عدد الارامل واليتامى الذين باتوا عالة على البلاد بسبب الحرب ولذلك لا يمكن تقدير الدية التي تفرض على روسيا الاَّ على وجه التقريب . ولنأخذ حرب فرنسا والمانيا مثالاً نقيس عليهِ . فان الالمانيين فقدوا في تلك الحرب ٢٠٥٨ ضابطًا و ٤٧٣٢٠ من صف الضباط

والجنود . اما اليابانيون فخسارتهم اعظم كثيرًا . وبعد الحرب السبعينية عينت المانيا ٢٨٠٥٠٠٠٠ جنيه ينفق ريعها على مصابي الحرب و ١٥١٣٤٦٦ جنيهاً معاشات و ٨٩٧٠٠٠ جنيه اخرى . ولكن هذا المال كلهُ كان اقلَّ من القليل حتى ان بعض المعاشات لم يزد على نصف شلين في اليوم فاضطرت الحكومة الالمانية الى زيادة المال لزيادة المعاشات

على انهُ وان يكن عدد الرجال الذين فقدتهم اليابان في هذه الحرب اعظم كثيرًا من الذين فقدتهم المانيا في الحرب السبعينية الّا ان ما ينفقهُ الياباني اليوم اقلُّ كثيرًا مما كان الالماني ينفقهُ سنة ١٨٧١ . وعليهِ يقدَّر المال اللازم لعيالة منكوبي هذه الحرب من اليابانيين بثلاثين مليون جنيه

والحرب الحاضرة تشبه حرب فرنسا والمانيا في هذا الامر وهو انهُ لا روسيا ولا فرنسا تمكنتا من دخول ارض العدو اذًا فالخسارة التي لحقت الاهالي الالمانيين والخسارة التي لحقت الاهالي اليابانيين متشابهتان . وقد دفعت الحكومة الالمانية الى شعبها بعد حرب فرنسا ٥٦٥٥٠٠٠ جنيه عطلاً وضررًا و ٨٤٠٠٠٠ جنيه الى اصحاب البواخر والسفن وذلك مع شدَّة تدقيقها واقتصادها . ولكن التجارة البحرية الالمانية لم تكن حينئذٍ شيئًا يذكر في جنب تجارة اليابان الآن . وزد على ذلك ان التجارة الالمانية لم تتعطل سوى اشهر قليلة اما تجارة اليابان فقد مضى عليها نحو سنة ونصف وهي معرقلة بسبب الحرب واليابان جزيرة تجارتها وصناعتها متوقفتان على الحرب . وقد خسرت خسارة عظيمة بسبك ارتفاع اجرة الشحن والتأمين وارتفاع اثمان الحاجيات كمواد الطعام والقطن والصوف والحديد والسماد وما اشبه . ومما زاد الطين بلة حسبان روسيا جميع واردات اليابان تقريبًا مواد مهربة ومعاملتها كذلك وعليهِ شرعت تغرق السفن المحملة ارزًا وقطنًا وخشبًا وسمادًا وغيرها حتى ارتفعت اثمانها ارتفاعًا فاحشًا . فمما تقدم يتبين جليًّا ان خسارة اهالي اليابان في هذه الحرب اعظم جدًّا من خسارة الالمانيين في الحرب السبعينية وتقدر بنحو ١٥٠٠٠٠٠٠ جنيه على القليل

بقي المال اللازم لتجديد الادوات والآلات التي أفنتها الحرب وللانفاق على حكومة منشوريا الملكية ولتعويض ما انفقتهُ الحكومة اليابانية من النفقات الاضافية على سكك الحديد والبوستة والتلغراف مدة الحرب ولسدّ النفقات العظيمة التي يستلزمها ارجاع الجيش الياباني الى بلادهِ وحلِّ الفيالق التي اقتضتها الحرب وارجاعها الى اماكنها . ويقدر المال اللازم لذلك بمبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

فاذا جمعنا النفقات المتقدم ذكرها كان لنا اقلُّ ما انفقتهُ اليابان على الحرب وهو مبلغ ... ٥٠٠ ١٨١ جنيه . هذا اذا انتهت الحرب عاجلاً

ثم انهُ يحق لليابان ان تطلب اكثر مما انفقتهُ وخسرتهُ في الحرب ناهجة في ذلك منهاج المانيا . فقد قدر بعضهم ان المانيا خسرت في حربها ٠٠٠ ٠٠٠ ٥١ جنيه فقط وآخر انها خسرت ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٠ جنيه ومع ذلك فقد اخذت من فرنسا نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ جنيه غرامة و١٢,٠٤٧,٦٧٨ جنيهاً فائدة الغرامة و٠٠٠ ٠٠٠ ٨ جزية فرضتها على باريس و٠٠٠ ٠٠٠ ٢٨ جنيه جزية اقتضتها من المقاطعات التي احتلتها . اي ان ما اخذتهُ من فرنسا يعادل اربعة اضعاف ما انفقتهُ وخسرتهُ في الحرب او اكثر فلا بدع اذا طلبت اليابان من روسيا ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ جنيه لتسدَّ بها نفقات الحرب وخسارتها وتنفق ما بقي على ترقية شؤُون بلادها وخصوصاً كوريا حيث الحاجة ماسة الى انشاء سكك الحديد والمواني والطرق والتلغراف والمدارس والمعامل وما شاكل

***

اما من جهة روسيا فقد قال بعض ارباب الامر والنهي فيها انها تخلي منشوريا ولا تؤَدي غرامة الى اليابان . واكَّد لي بعض كبار الماليين والسياسيين في فرنسا حديثاً ان روسيا لا تؤَدي غرامة مالية الى اليابان بل لا تستطيع تأْديتها . نعم انها لا تستطيع تدبير مئتي مليون جنيه من اهلها وربما لقيت اشدَّ الصعاب في تدبيرها من الخارج ولكن لا مفرَّ لها من تأْدية عوض الخسارة التي سببتها وهي تستطيع تدبير الغرامة ولكن ربما اضطرت ان تؤَدي ضماناً الى مداينيها مثل ايراد جماركها او ايراد احتكار المشروبات الروحية او سكك الحديد كما فعلت تركيا ومصر واليابان والارجنتين وغيرها

ولو فرض ان روسيا أَبت دفع ما تطلبهُ اليابان منها واختارت الاستمرار على الحرب الى النهاية لكانت العاقبة عليها وخيمة لان مطالب اليابان تزيد وقد لا يعود رهن ما عندها كافياً لسدّ تلك المطالب فتضطر ان تبيع غاباتها ومناجمها لشركات من الماليين الاجانب . واذا طال على الحرب المطال فقد لا يكفي الرهن والبيع فتضطر ان تتوقف عن دفع الفوائد التي تستحق على دينها الخارجي البالغ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٠٠ جنيه وتعين فائدتهُ البالغة ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ جنيه لايفاء فائدة دين جديد تعقدهُ لتأْدية الغرامة

وربما اعترضت روسيا بانها لا تستطيع تدبير مئتي مليون جنيه بعد حرب ضاقت فيها مذاهبها وفنيت حِيلها وفرغت جيوبها فتردُّ اليابان اعتراضها بقولها ان الذنب ليس ذنبها

وربما ذكرتها بفرنسا وبالازمة المالية التي مرّت عليها منذ ٣٤ سنة وقالت لها ان ما فعلتهُ فرنسا حينئذٍ يجب ان تفعليهِ انتِ الآن . فان حرب فرنسا والمانيا كلّفت فرنسا ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه نصفها نقدًا وقد تجشمت فرنسا المشاق في تدبير ذلك المال وكانت حالتها المالية اشد ضنكًا من حالة روسيا المالية الآن . فان دينها العمومي كان ٤٤٧١٢٠٩٠١ جنيه سنة ١٨٦٩ اي قبل الحرب بسنة فبلغ ٩٣٧٥٨٤٢٨٠ جنيهًا سنة ١٨٧٥ وكانت فائدتهُ ١٣٩١٧٣١٩ جنيهًا سنة ١٨٦٩ فبلغت ٢٩٤٩٣١٤٩ جنيهًا سنة ١٨٧٢ اما روسيا فان ميزانيتها السنويَّة تزيد على مئتي مليون جنيه فلا يعسر عليها تدبير عشرة ملايين جنيه بضرب الضرائب على اعيانها المترَفين المسرفين وقد لا ترى نفسها مضطرة الى ذلك بل كلُّ ما تحتاج اليهِ ان تنقح حساباتها وتحوّل عشرة ملايين من الاموال الباهظة التي تنفقها على جيوشها البرية والبحرية وسكك الحديد الحربية الى حساب الدين الخارجي

ويقول بعض الروس انهُ لا يعسر على روسيا تدبير مئتي مليون جنيه لو عنيت بذلك ولكنها لا تنوي البتة ان تحيد عن خطة التوسع في الفتوحات وانها لا تؤدي الغرامة الى اليابان الاَّ مكرهة واليابان لا تستطيع اكراهها . ويستشهدون بالمانيا فيقولون انها انما استطاعت ان تفرض غرامة فادحة على فرنسا وتتقاضاها منها لانها استطاعت ان تضع يدها على بعض املاك فرنسا ضمانًا حتى اخذت آخر سنتيم منها . اما اليابان فانَّى تستطيع مثل ذلك

وجوابًا على ذلك اقول ان ساسة الروس الذين يظنون ان روسيا تستطيع اطالة الحرب الى ما شاء الله من غير ان ينالها شرٌّ او ضرٌّ وانها تأبى تأدية الغرامة الى اليابان لان اليابان لا تستطيع وضع يدها على بعض الاملاك الروسية ضمانًا لهم على خطاء مبين . فان شرقي سيبيريا يساوي اكثر من مئتي مليون جنيه في عين اليابان او في عيون الذين تتنازل اليابان لهم عن تلك البلاد او تنيلهم بعض الامتيازات فيها اذا شاءت ذلك . ولو كان شرقي سيبيريا مخلص الولاء للروس كثير السكان وخيراتهُ مستثمرة لما كانت قيمتهُ لليابان تساوي التعب عليهِ . ولكنهُ ليس كذلك لان خيراتهِ لا تزال مكنونة في ارضهِ مدفونة في صدرهِ فلا بدع اذا طمحت اليابان ببصرها اليهِ . وسكانهُ قلال وكثيرون منهم سلالة المجرمين والمنفيين السياسيين فليسوا شديدي الولاء لدولتهم . فاذا كانت روسيا تظنُّ انهُ لا يساوي مئتي مليون جنيه فان اليابان تعدُّهُ رخيصًا بتلك القيمة ولا تمرُّ على امتلاكها لهُ الاَّ سنوات قليلة حتى تجمع منهُ اكثر من مئتي مليون جنيه

هذا وقد تأبى روسيا تأدية الغرامة الى اليابان وتأبى الاستمرار على الحرب ايضًا فتسترجع

جنودها وادارتها الملكية نحو بحيرة بيكال وتتلبث هناك . ولكن هذه الخطة تعود بالوبال عليها فتبيت على كره منها دولة محصورة في اواسط اسيا لا منفذ لها الى البحر كما سأُبينهُ قريباً

فيظهر مما تقدم ان روسيا لا تستطيع التخلُّص من تأدية الغرامة ما لم تجلِ عن منشوريا وشرق سيبيريا . وليس في نية اليابان وضع يدها على قسم من املاك روسيا ولكنها قد تضطرُّ الى ذلك فيما لو رفضت روسيا ان تؤدّي اليها غرامة ترضيها . ثم انهُ لا ينتظر ان اليابان تسمح لروسيا بوضع يدها على بورت آرثر وبقاء فلادفستوك فيها فتخرج منهما متى شاءَت وتهاجم السواحل اليابانية وتكون سيفاً معلقاً فوق راس اليابان فلا غنى لليابان عن ان يبقى بحر اليابان ملكاً لها . وهي تريد ان يعقب هذه الحرب سلام دائمٌ ثابت الاركان فلا يسعها والحالة هذه ان تترك بورت آرثر وفلادفستوك يفلتان من يدها ليكونا خطراً عليها . اما من جهة بورت ارثر فلا ينتظر من اليابان ان تتنازل عنها مرة أُخرى . واما من جهة فلادفستوك فيؤكدون ان اليابان تصرُّ على اخذها من روسيا او على دك حصونها او ان تتكفل روسيا بألاَّ تستقدم اليها بوارج لتقيم فيها الى اجل طويل . والمرجح انها لا ترتضي بالحبر على الورق ضماناً بل تطلب ضماناً اقوى من ذلك للاحتفاظ بسلامتها

ولا يعلم ما اذا كان اليابانيون يستولون على فلادفستوك او يجردونها من السلاح او يتركونها وشأنها كما هي الآن قلعة حصينة فان ذلك كلهُ يتوقف على كيفية مقابلة الروس للمطالب اليابانية . ولكن اذا طلب اليابانيون الاستيلاء على جزيرة سخالين (ولست اخالهم الاَّ طالبيها ونائليها) بات المضيق الذي يفصل بينها وبين فلادفستوك في قبضة ايديهم وباتت فلادفستوك تحت رحمتهم فاتخذوها رهناً في مفاوضات الصلح

ولنعد الى مفاوضات الصلح فاقول انهُ اذا عقد الصلح حالاً فقد تقنع اليابان باخلاء الروس لمنشوريا وتنازلهم عن جزيرة سخالين لها وغرامة قدرها مئتا مليون جنيه . اما مسألة فلادفستوك وسكة حديد منشوريا فمسألة ثانوية لا اولية . ولكن اذا اختارت روسيا الاستمرار على الحرب كما توعدت وتهددت زادت مطالب اليابان ثقلاً يوماً على يوم واسبوعاً على اسبوع ولا بدع في ذلك ولا غرابة

وخير ما تفعلهُ روسيا الآن ان تتذكر الماضي وتعتبر بحرب فرنسا والمانيا . ففي ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٠ اي بعد موقعة سيدان بسبعة عشر يوماً اجتمع جول فافر ناظر خارجية فرنسا حينئذٍ بالبرنس بسمرك ليعلم منهُ ما تشترطهُ المانيا لعقد الصلح . فطلب بسمرك الاستيلاء على الالزاس وغرامة قدرها ٨٠ مليون جنيه ولكن جول فافر أبى ان يتنازل عن قيراط من اراضي

فرنسا وحجر من قلاعها فبقيت الحرب جارية مجراها . ولم يمضِ على ذلك ستة اسابيع حتى اجتمع تيرس بسمرك طالبًا عقد الصلح فعاد خائبًا لان بسمرك أصرَّ على طلب الالزاس وغرامة قدرها ١٢٠ مليونًا . وفي د يسمبر من تلك السنة طلب بسمرك ١٨٠ مليونًا . واخيرًا عقد الصلح في فبراير من السنة التالية بعد ان طلبت المانيا اللورين فوق الالزاس فنالتهما وغرامة قدرها ٢٠٠ مليون فنالتها

فاذا كانت روسيا تروم الصلح عن حسن نية فلتعجّل في عقدهِ لأن كلّ يوم يمرُّ بلا صلح يزيد غرامة الحرب نصف مليون جنيه تستقطر من دم الصانع والعامل

هذا واذا اعتمدت روسيا على مداخلة صديقاتها من الدول واملت ان اطالة الحرب تحمل احداهنَّ على مساعدتها في النهاية فاعتمادها انما هو على ما لا يركن اليهِ واملها في غير محلهِ . نعم ان من مصالح فرنسا الجوهرية تقوية روسيا على المانيا ولكن ليس من مصلحة المانيا ان تتخلى مرة اخرى عن سيادتها في اوربا ارضاءً لروسيا . وزد على ذلك ان توسط المانيا وفرنسا لا يغني فتيلاً الاَّ اذا تمكنتا من استجلاب بريطانيا العظمى او الولايات المتحدة اليهما وكلا الامرين بعيد الاحتمال . ثم ان بريطانيا العظمى لا تستطيع مساعدة روسيا بشيء مهما حاولت فرنسا والمانيا اقناعها بذلك ومهما كانت رغبتها شديدة في تقوية روسيا اذ من الخيانة ان تتخلى الآن عن حليفتها اكرامًا لروسيا . فاذا كان ساسة روسيا يطمعون باستجلابها اليهم ويؤملون استرضاءها بمنحها امتيازًا ما في اسيا او بعقد محالفة انكليزيَّة فرنسوية روسية فما يخادعون الاَّ انفسهم . نعم انهُ يسرُّ بريطانيا العظمى ان تقوي روسيا وتساعدها وهي تسعى في تعزيز مصلحتها ولكنها لن تفعل ذلك قبلما يعقد الصلح بين روسيا واليابان وتسوَّى جميع اوجه الخلاف التي بينهما . انتهى

ولقد كان لهذه المقالة المحكمة الحجة القوية الدليل صدى في الاندية السياسية والظاهر ان القيصر اطَّلع عليها وعلى ما ماثلها من المقالات الكثيرة فاسرع الى المذاكرة في عقد الصلح . ونال الماليون غايتهم من الروس واليابان ولم يستفد من الحرب احد سواهم ولكن لا يبعد ان يعود من ذلك نفع على الامة الروسية والامة اليابانية . وكم من نفع جرَّهُ ضرٌّ

تاريخ الوهابية

في ترجمة محمد علي باشا كلام كثير عن الوهابيَّة وحربهِ لهم . وكان احد علماء الاسلام الافاضل قد اطّلع على تاريخ حسين بن غنام الاحسائي احد موُرخي الوهابيَّة فتصفحهُ وبعث الينا بخلاصة منهُ فرأينا ان ننشرها الآن اتماماً للفائدة ليُعلم اصل الذين حاربهم محمد علي وولداهُ واوقعوا بهم قال الكاتب

اسم الكتاب "روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام" وهو في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد حوى تاريخ " الفتوحات الاسلامية التي مبدأها العقد السادس من القرن الثاني عشر" وهو خمسة فصول الاول في ما جرى في تلك الازمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والاحساء وغيرها من البلدان . الثاني في نسب الشيخ ومبدإ امرهِ وما جرى لهُ من اهل مصرهِ وعلماء عصرهِ . الثالث في رسائل ارسلها الى بعض خواص الاخوان . الرابع في شيء من المسائل التي سئل عنها . الخامس في بعض كلامهِ على القرآن . ورتبهُ على السنين وبدأهُ من اول نشأة ابن عبد الوهاب وختمهُ سنة ١٢١٣

افاض في المقدمة في ذكر ما الفهُ الناس في بلاد نجد وما والاها من الشرك الخفي والظاهر ووصف المقامات التي نذروا اليها والشيوخ الذين اعتقدوا فيهم وانتقل الى " بلدان مصر وصعيدها وما فيها من الامور التي ينزه اللسان عن ذكرها وتعديدها خصوصاً عند قبور الصلحاء والعباد ومن ساداتها وعبيدها "

ثم ذكر ما يفعل من هذا القبيل في بلدان اليمن وقال ان حلب ودمشق واقصى الشام والموصل وبلاد الاكراد والعراق وبغداد والبصرة وقرى السلط والمجرّة والقطيف والبحرين وغيرها من بلاد العرب كلها واقعة في هذا . واستشهد بقصيدة للامير ابن اسماعيل الصنعاني وكان مشهوراً بالعلم والفهم قال فيها واصفاً ما سرى من البِدَع :

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... فلم ينجُ منهُ مركبٌ وركابُ
وطوفان نوح كان في الفلك اهلهُ ... فنجاهم والغارقون تبابُ
فانّى لنا فُلك ينجي وليتهُ ... يطير بنا عما نراهُ غرابُ
واين الى اين المطار وكلما ... على ظهرها يأتيك منهُ عجابُ
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لهُ ... ذئاب وما عنهُ لهنّ ذهابُ

لقد مزقتهُ بعد كل ممزّق فلم يبقَ منهُ جثة وإهابُ
وليس اغتراب الدين الأَ كما ترى فهل بعد هذا الاغتراب ايابُ
فيا غربة هل يرتجى منك اوبةٌ فيجبر من هذا البعاد مصابُ
فلم يبق للراجي سلامة دينهِ سوى عزلة فيها الجليس كتابُ

وقال في مبدإ امر الشيخ ما ملخصهُ : هو محمد بن عبد الوهاب ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والالف في بلد العينية فانبتهُ الله نباتاً حسناً وبقي بعد سنّ الطفولية يتعلم زمناً حتى استظهر القرآن قبل العاشرة واشتغل على ابيهِ وكان توسم فيهِ النجح ورآهُ اهلاً للصلاة بالجماعة قبل ان يبلغ الثانية عشرة فقدّمهُ وزوّجهُ وحججهُ واخذ في قراءة الفقه على مذهب الامام احمد ورُزق مع الحفظ سرعة الكتابة بحيث انهُ يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراساً . ثم رحل في طلب العلم الى ما يليهِ من الامصار فزاحم كبار العلماء فوطئ الحجاز والبصرة مراراً واتى الاحساء واخذ العلم عن جماعة وسمع الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو واتقن تحريرهُ وكتب الكثير من اللغة والحديث وهو يحث على طريق الهدى والاستقامة وكان اكثر لبثهِ لاخذ العلم بالبصرة واخذ في بث الدعوة ثم سكن حريملا مع والدهِ مثابراً على دعوتهِ تاركاً ما سلكهُ علماء السوء فانتظم في سلكهِ عصابة فاتخذوهُ جليساً واتبعوا طريقتهُ فقرأوا عليهِ كتب الحديث والفقه واشتهر في بلدان العارض من حريملا والعينية والدرعية والرياض ومنفوحة فانحاز لدعوتهِ جم غفير واقام في حريملا سنين وصنف كتاب التوحيد واهتدى بهِ أحد الامراء عثمان بن معمّر في العينية فاقام بها وساعدهُ الامير على الارشاد فبدأ يعظم امرهُ ففشا الدين في بلدان العارض فأمر الشيخ الامير بهدم القباب والمساجد المبنية على قبور الصحابة وقطع الاشجار التي كان ينتابها الناس وعدّلت على السنن المشروع فأنكر عليهِ ذلك وحكموا بكفرهِ واستحلال دمهِ ومالهِ وتقوّل بعضهم عليهِ ووشوا بهِ الى علماء الاحساء والبصرة والحرمين وافتوا للحكام بانهُ اقبح الضلاّل والفسّاق واشرّ الخوارج وحسبوا انهم اذا حرّشوا عليهِ الحكام يجدّون في قتلهِ فصنفوا المصنفات في تبديعهِ وتضليلهِ وقالوا انهُ مغيّر السنة والاحكام بقصد تنفير الخواص والعوام ليشاقّوا الولاة فيعصوهم . ولما تظاهر الشيخ بالدعوة والناس قد أُشربت محبة المعاصي قلوبهم لم يكفّر اولئك العربان وتوقف تورعاً حتى تألبوا عليهِ وكفروهُ وجماعتهُ ولم يأمر بسفك دم اكثر اهل الاهواء حتى حكموا عليهِ واصحابهِ بالقتل والتكفير . ومع ما كان يُنقل اليهِ من الاذى لم يكترث لهم وكان يتضرع الى مولاهُ ان يشرح للحق صدورهم ولم يعامل احداً بالاساءة بعد القدرة عليهِ . ولما

وندوا عليهِ ومثلوا بين يديهِ لم يوبخ احدًا منهم واسدى اليهم معروفهُ وتجاوز عما فعلوهُ. فعل بهِ اعداؤُهُ ذلك واكثرهم معترف ان ما اتى بهِ هو الحق والصواب ولكن خشوا ان تسلب رئاستهم ودنياهم

ثم اغرق المصنف في الدعوة الى الاجتهاد وبيان آراء الصحابة والعلماء فيهِ وخصوصًا الائمة الاربعة ونسب انقطاع الاجتهاد الى العلماء والامراء ونقل قولهم "صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس قيل من هم قال العلماء والملوك" قال ابن المبارك

رأيت الذنوبَ تميت القلوبَ وقد يورث الذل إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانُها
وهل افسد الدين الاَّ الملوك واحبار سوءٍ ورهبانُها

وختم هذا المبحث بقصيدة لمحمد بن اسماعيل المشار اليهِ قال فيها :

أَويُعمِرِ اركانَ الشريعة هادمًا مشاهد ضل الناس فيها عن الرشدِ
أَعادوا بها معنى سواع ومثلهُ يغوث ووَدّ بئس ذلك من ودِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفردِ
وكم عقدوا في سوحها من عقيرة أُهلّت لغير الله جهرًا على عمدِ

الى ان يقول

علامَ جعلتم ايها الناس ديننا لاربعة لا شك في فضلهم عندي
همو علماء الدين شرقًا ومغربًا ونور عيون الفضل والحق والزهدِ
ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلاً ولا تقليدهم في غد يجدي
ولا زعموا حاشاهمو ان قولهم دليل فيستهدي بهِ كل مستهدي
بلى صرَّحوا انا نقابل قولهم اذا خالف المنصوص بالقدح والردِ

توفي صاحب الدعوة ولهُ من العمر قريب من اثنتين وتسعين سنة كان في خلالها مستمرًا في تحصيل نافع الزاد وصنف مصنفات كثيرة منها رسالة عامة للمسلمين تسمى كشف الشبهات جوابًا لكثير من شبههم التي ادلوا بها وهي في كرَّاس فيها خلاصة دعوتهِ ولباب علمهِ . وقد شرحها المؤَلف وقال ان العلماء من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الامة من تعظيم القبور وبناء المشاهد والمساجد عليها ودعائها وسؤَال اهلها الحاجات وتفريج الكربات ويبينون للناس ان هذا خلاف دين الاسلام الذي بعث الله بهِ رسولهُ (ص) ودخول في عبادة الاوثان فليس هذا الذي بينهُ الشيخ للناس من النهي عن دعوة اهل القبور والاشراك

بهم والتبرك بالاشجار والاحجار فهمهُ من تلقاء نفسهِ دون ان يفهمهُ احد من علماء هذه الامة بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على النهي عنهُ والانكار والتغليظ على من فعلهُ من الجهال وازالة ما قدروا عليهِ من ذلك. ومرادي بالعلماء هم الذين يُعتدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند اهل الاسلام الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم بل يجاهدون في سبيل الله اهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم

ونقل ابن غنام طرفًا صالحًا مما ورد في كتاب ابن شامة في انكار المنكرات وضروب الشرك الاكبر الذي فشا على عهدهِ في مصر والشام وقال ان هذه هي مثل الدعوة التي صرح بها ابن عبد الوهاب وذكر جانبًا من اراء علماء المذاهب مثل ابن القيم وابن بكر الطرسوسي وغيرهم في هذه المنكرات واخذ يسرد من رسائل الشيخ التي دعا فيها الى تجريد التوحيد

ويحتوي الجزء الثاني على رسائل عديدة كتبها الشيخ في حث مجاوريهِ على الاخذ بما ارتآهُ والرد على خصومهِ. قال من جملة جواب لهُ ان تعليق التمائم من الشرك وكتب الطلاسم في الحجب وهي من السحر والسحر يكفّر صاحبهُ وان من دعا نبيًّا او صحابيًّا او وليًّا مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني واغثني كافر بالاجماع . واورد في إنكار التذكير وقال انهُ من البدع وذكر السيوطي في الاوائل ان اول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السبعمائة في زمن الناصر بن قلاوون

وجلُّ رسائل الشيخ دائرة على الدعوة الى التوحيد . وذكر ابن غنام مسائل كثيرة في الاصول والفروع سئل عنها فاجاب . وقد استغرق ما نقلهُ ابن غنام من تفسيرهِ وبعض الاجوبة التي اجاب بها سائليهِ نحو تسعة كراريس وكلها دلت على ان الرجل عظيم في ايمانهِ عظيم في بيانهِ وتبيانهِ

ثم ذكر المؤرخ غزوات ابن عبد الوهاب واورد السبب الذي اخرجهُ من بلدهِ العينية بعد ان كان يأمر بالعرف وينهى عن المنكر ذلك ان امرأة من اهل تلك البلدة عرفت بسوء فاقرت على نفسها وتكرر ذلك منها فاعرض الشيخ عنها ثم اقرت حتى عادت الى الاقرار مرارًا فسئل عن عقلها فاخبر بتمامهِ وصحتهِ فامهلها اياماً رجاء ان ترجع عن الاقرار الى الانكار. فاقرت اربع مرات فأمر برجمها فشدت عليها ثيابها لترجم بالحجارة على الوجه المشروع فخرج الامير عثمان وجماعة فرجموها حتى ماتت فلما طار هذا الخبر كثر لغط اهل البدع وطارت قلوبهم شعاعًا فلما اعياهم رد ما قالهُ من تلك المسائل عدلوا الى ردها بالمكر والحيلة فشكوهُ الى شيخهم فاغروهُ بهِ فطلب الى الامير عثمان يأمرهُ بقتلهِ او اجلائهِ عن وطنهِ فامر هذا الامير الشيخ

بالخروج فجاء الدرعية فلما سمع الامير محمد بن مسعود بقدومهِ اسرع اليهِ مسلمًا عليهِ فلطف منهُ محلهُ واخبرهُ بان يمنعهُ بما يمنع بهِ نساءهُ واولادهُ من جميع من عاداهُ وطلب الى الشيخ ان لا يرحل عن بلدهِ وكان هذا الامير معروفًا في جاهليتهِ بحسن السيرة فعاهدهُ الشيخ على عدم الخروج وقام يدعو الناس الى التوحيد وآزرهُ وزراء الامير واعوانهُ واخوانهُ من اهل الدرعية وذلك في حدود سنة ١١٥٧ هـ وبقي الشيخ سنتين يناصح الناس وهاجر الى الدرعية خلق كثير بينهم زمرة من اهل البيوتات . وسنة ١٢٠٦ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحالهُ من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة يتلو القرآن ابدًا ويحيي غالب الليل بالقيام والتأني في تنفيذ الاحكام من كتب الائمة الاربعة المقلدة وكان يجيي اليهِ بيت المال من جميع بلدان المسلمين فيفرقهُ عليهم في طريقة من الزهد مرضية وكان متكففًا من ذلك المال لا يأكل منهُ الَّا بالمعروف وكان سمحًا كريمًا لا يردُّ سائلاً ومات ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا وكان عليهِ دين كثير وفي عنهُ

وهنا انشأ المؤلف يذكر غزوات الوهابية مع من جاورهم من القبائل والبلدان وكلها دائرة على بث دعوة واحتياز مغنم ومقابلة شر بمثلهِ . اخبار متشابهة يجري كل سنة مثلها الى اليوم في تلك الاصقاع . ويظهر للمتأمل ان معظم تلك الحروب التي جرت على عهد ابن عبدالوهاب كانت للدين فلما مات عادت المطامع الى مجراها السابق . والغالب ان الاميرا النجدي وابنهُ الذين عملا بمشورة الشيخ طول حياتهِ قاما ببث دعوتهِ بين الامراء المجاورين بعد ان اشتدت شكيمتهما

ومن طالع التاريخ الذي نحن بصددهِ حق مطالعتهِ وعرف حال جماعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يلبث ان يقع في ذهنهِ ان كل تاريخ هذه الطائفة قتل وقتال وقيل وقال . نعم ان الامر على ما يقول فقد ذكر لي احد عقلاء النجديين يومًا ما معناهُ : يُعاب على قومنا شيئان مهمان احدهما الفتن التي ما فتئت يثور ثائرها بين اظهرنا والدماء التي تهراق من رفيعنا ووضيعنا — وان تكن غارات اليوم بين ابن سعود وابن الرشيد مثلاً ليست كغارات امس المذكورة في تاريخ ابن غنام فان تلك كانت لنشر كلمة التوحيد بين اولئك الاعراب الجفاة الاجلاف وهذه تدعو اليها المطامع والشهوات الدنيويَّة — وثانيهما انقسام الناس في نجد الى جنسين جنس يقال لهُ الخضيرية وجنس يقال لهُ قبيلية او شيوخ فالاول في حلّ من تعاطي الصناعات كلها والثاني لا يجوز لهُ تعاطيها لان ذلك يعدُّ شينًا عليهم وعرّة في وجوه انسابهم فيقتصرون على التجارة والفلاحة . واذا تعاطى احد الشيوخ وبعبارة ثانية الاشراف صناعة ما

وكان في الاصل شريفاً يسقط عندهم شرفهُ ويمسي معدوداً من الطبقة النازلة طبقة الصناع والاجراء في بلادهِ طبقة الخضيرية. واذا تزوج احد الشيوخ من بني خضير اي صاحب الشرف من فاقدهِ وكان للشريف عصبة يستحلون قتلهُ مدعين انهُ اسقط شرفهم. قلت لهُ وانما اعيب عليكم امراً ثالثاً وطالما ذاكرتكم بهِ وهو جمودكم على حالة واحدة في العلم وتحريمكم لمطالعة كتب لا تخلو مطالعتها من انارة عقولكم ووقوفكم عند حد البحث في الدين دون الالتفات الى ما لابد منهُ من علوم الدنيا. وما يخيل لي الاَّ ان رجالكم الذين يأتون الامصار عارفون ما تمسُّ اليهِ حاجة بني نحلتهم من العلوم والصنائع وما ينقصهم من المتممات التي لا اثر لها في باديتكم. اما انقسام الناس في نجد الى فئتين فليس بالامر الجديد فان الرومان كانوا كذلك بل كان اشراف اسلافكم العرب الخُلَّص يرون الصنائع مضيعة لشرفهم و يعتدون في الغزو والغارة شرفهم الوحيد

هذا ما سمحت بهِ المكنة من الكلام على تاريخ الوهابيين ويسمون انفسهم اهل العدل والتوحيد وهم في الحقيقة حنابلة على مذهب احمد بن حنبل احد الائمة الاربعة المشهورين عند اهل السنة والجماعة. ومن راجع طبقات الحنابلة ودرس سيرة رجالهم يدرك ان اهل هذا المذهب من القديم هم من اشد الناس انكاراً للمنكرات وقد يؤدي ذلك ببعضهم احياناً الى القسوة والغلظة وتضييع الفائدة المطلوبة من الامر والنهي المشروعين حتى ان الغزالي وصفهم بالجمود مع اعتبارهِ لهم وحماستهم المأثورة في بث الدعوة. واخبرني فاضل نجدي ان للوهابية تاريخاً آخر وصل بهِ مؤلفهُ كلام ابن غنام بما حدث في زمنهِ من وقائعهم خصوصاً مع الدولة العلية وهو سياسي اكثر مما هو علمي. وهذا الكتاب المحكيّ عنهُ على كثرة سجعهِ وقلة تنسيقهِ لو ظفر بهِ احد المستشرقين لطبعهُ على علاتهِ لان صاحب الدار ادرى بالذي فيها. والله يعلم السرَّ والخفي. انتهى

ويظهر مما ذكرهُ الجبرتي عن الوهابية وكان معاصراً لهم ورأى الجنود المصرية تخرج لقتالهم وحادث الذين رأوهم وكالموهم بل حادث بعض اسراهم انهم لم يكونوا على شيء من الغلو او من الضلال وانهُ لو لم يرشِ محمد علي قبائل العرب بالمال و يستعين بهم على الوهابية لما استطاع التنكيل بهم

مسائل العلم في القرن العشرين

كان العلماء قبل القرن التاسع عشر يقولون انهُ لا علاقة لازمة بين ظواهر الكون المختلفة اي ان علم الفلك والجيولوجيا والطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا وسائر فروع العلوم انما هي علوم مستقلة بعضها عن بعض وان كلاً منها يجري مجراهُ من غير ان يعتمد على غيرهِ . ولكنَّ علماء القرن التاسع عشر نقضوا هذا الرأي واثبتوا ان العلوم والمعارف المختلفة اعضاء عائلة واحدة ونقضوا كثيرًا من الامور التي كانت مسلَّمة دينًا او فلسفة فقام ايمة الدين وانصار الفلسفة القديمة وقعدوا واضطرمت نار الجدال بين الفريقين

وقد دخل القرن العشرون والعلم يتجلّى بابهى حللهِ في جميع فروعهِ بعد ان بلغ أبعد غاياتهِ ظاهرًا حتى بات الناس يتساءلون أما بعد تلك الغايات غاية . وهل بلغ العلم حدَّ الكمال والتمام فبات سعي العلماء وبحثهم وتنقيبهم بعد الآن مما لا طائل تحتهُ . او ليس هناك مسائل لم تحلَّ بعد

وجوابًا عن ذلك نقول ان بعض العلماء يذهب الى ان العلم بلغ من الكبر عتيًّا بحيث لم يعد يؤمل منهُ شيء ويخالفهم البعض الآخر فيقول انهُ لم يزل في طور النمو والبلوغ وان امامهُ مراحل كثيرة لا بدَّ ان يقطعها وادوارًا لا بدَّ ان يمرَّ بها قبلما يبلغ الغاية القصوى . ولنأخذ كلاً من فروع العلم المختلفة على حدة لنرى ما تمَّ فيها وما عسى ان يتمَّ معتمدين على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ دولبر نشرت في مجلة العلم العام الاميركية ولنبدأ بالفلك

الفلك

مما عرف حتى الآن ان الارض جزء من النظام الشمسي وانها عريقة في القدمية وهي وسائر اعضاء النظام المذكور بلغت حالتها الحاضرة بعد نموّ دام ملايين من السنين وان العوامل التي كانت في الماضي لا تزال هي نفسها الى الآن تحدث التغييرات في اقدار تلك الاعضاء والمسافات التي تفصل بينها . وان القمر كان جزءا من الارض فانفصل منها بفعل المدّ مبتعدًا عنها وسيبقى في نفور وابتعاد نحو ٥٠ مليون سنة ثم ينقلب راجعًا . اما الشمس فجسم من غاز حام وسبب حرارتها تقلصها بفعل الجاذبية وهي تشعُّ الحرارة على مقدار معلوم محدود ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدّروا ان حرارتها تنفد بعد ١٠ ملايين سنة فتظلم حينئذٍ كأنها لم تكن مشرقة وتبرد كأنها لم تكن اتون نار آكلة ما لم يطرأ عليها طارئ يجدّد حرارتها ويبعث فيها قوة شبابها الماضي ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الاوّل . ومثل ما

يحدث في الشمس يشاهد الآن في الوف من الاجرام السموية فان منها ما هو في كل الاطوار التي مرَّت عليها الشمس او تمرُّ في المستقبل — من اجسام غازية منيرة الى اجسام جامدة لا نور فيها ولا حرارة

ومما نعلمهُ ايضاً ان اقرب نجم من الثوابت الينا أبعد من الشمس عنا مئتي الف ضعف او اكثر وان النظام الشمسي برمتهِ يسير في الفضاء بسرعة نحو ٤٠٠ مليون ميل في السنة نحو النجم المسمَّى بالنسر الواقع

على اننا نجهل ما اذا كان سير هذا النظام في الفضاء سيراً ابدياً شارداً او انهُ سيرٌ منتظم في حلقة لا نعلم شكلها . فقد علمنا جهة سير بعض الكواكب وقسنا سرعتها ولكنَّ ما نعلمهُ من هذا القبيل لا يكفي لمعرفة ما اذا كانت حركتها منتظمة او هي مثل حركة دقائق الغازات يكثر فيها الاصطدام والالتحام . فان ظهور النجم الجديد في كوكبة فرساوس ثم انطفاءهُ بغتة لا يمكن تفسيرهُ الَّا بحدوث الاصطدام بين الكواكب . وكبرها وعظم سرعتها كافيان لان يحولاها عند تصادمها غازاً منيراً . ولا يبعد ان ينال النظام الشمسي مثل ذلك ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انهُ لو قدّر اصطدامنا باقرب جارٍ لنظامنا وبقيت سرعتنا على ما هي عليهِ الآن اي ١٢ ميلاً في الثانية لاقتضي لنا خمسون الف سنة قبل الوصول اليهِ

هذا وان عدد الكواكب المنظورة نحو مئة مليون كوكب والفلكيون يعجبون لماذا لا نرى من الكواكب البعيدة اكثر مما نراهُ الآن . ثم ان عدد الكواكب في كوننا اقلُّ مما كان الفلكيون يخمنون والظواهر تدلُّ على ان للفلك المنظور حدًّا محدوداً لا كما كان يظنُّ من ان عدد الكواكب غير محدود وهي في فضاء غير محدود . وهذه القضية لم تجلَّ بعد بل هي شغل بعض المراصد الشاغل . وكلُّ احد يروم ان يعلم ماهية الكون الذي نحن فيهِ وماجرياتهِ فقد كان الاقدمون يزعمون ان النظام الشمسي مؤلف من سبعة سيارات فاكتشف في القرن التاسع عشر اكثر من خمس مئة . ولم يمرَّ على اكتشاف السيار اروس الاخير سوى ثماني سنوات واكتشفت اقمار جديدة من اقمار المشتري وزحل والمرجح ان السيارات لم تكتشف كلها بعدُ وعليهِ ترى العلماء ينقرون وينقبون عما لم يكتشف منها لعلهم يكتشفونهُ

وكوننا محدود كما تقدم ولكنهُ طويل عريض واسع ممتدٌّ تضلُّ فيهِ الابصار والبصائر ولا تحيط بهِ الافهام . فان بعض كواكبهِ بعيد عنا الى حدّ انهُ يقتضي لنورهِ مليون سنة حتى يصل الينا . واذا علمت ان النور يقطع ١٨٦ الف ميل في الثانية من الزمان تبين لك انهُ يقتضي لنظامنا الشمسي الوف الملايين من السنين حتى يصل الى احد تلك الكواكب البعيدة

لان سرعتهُ نحو ٤٠٠ مليون ميل في السنة كما سبق القول

ومما لا يزال علمهُ خافياً علينا ماهية السيارات وطبيعتها وهل هي مسكونة او خالية من السكان . وليس المراد بقولنا مسكونة ان فيها سكاناً يشبهوننا في جميع صفاتهم ومزاياهم المادية بل ان فيها احياء سواء اشبهونا اولا . فان منها ما هو شديد الحرارة كالمشتري وما هو شديد البرد لا هواء فيهِ ولا ماء كالقمر فان كان مسكوناً فلا ينتظر ان يكون سكانهُ مثلنا لاختلاف اقليمهِ عن اقليم ارضنا . وجهد ما يمكننا استنتاجهُ بالتمثيل من هذا القبيل انهُ اذا اتخذنا نشوء الحياة على الارض قياساً لنا حكمنا انهُ لا يكاد يحتمل ان الارض هي وحدها مسكونة من بين ملايين العوالم والاجرام التي تتركب مما تتركب الارض منهُ وتخضع للنواميس التي تخضع هي لها . على ان هذا قياس تمثيليٌّ لا حقيقة مثبتة . ولعلَّ القرن العشرين يميط لنا النقاب عن هذه الاسرار كلها

الجيولوجيا

علم الجيولوجيا كلهُ مما وَلَد القرن التاسع عشر . ومع عظم تقدمهِ فيهِ لا يزال اكثر من نصف اليابسة غير ممسوح بعد وكثير من القضايا المتعلقة بالقسم الممسوح لم يحلَّ بعد مثل الظواهر البركانية وتركيب باطن الارض وحرارتهِ وما اشبه من المسائل التي اذا حلَّت عرفنا اموراً كثيرة نتوصل بها الى معرفة عمر الارض وخصوصاً طول الزمن الذي مرَّ منذ اصبحت صالحة لسكن الاحياء . اما الآن فالاقوال عن عمر الارض كثيرة ففي بعضها ان عمرها عشرة ملايين سنة وفي البعض انهُ الف مليون سنة وفي البعض ما بين ذلك . وقد مضت مدة طويلة والجيولوجيون يحاولون اكتشاف مقياس يقيسون بهِ الادوار الجيولوجية مثل الدور الجليدي ليعلموا متى ابتدأ ومتى انتهى ولكنهم لم يهتدوا الى ذلك بعد بل كلُّ ما يقولونهُ مجرَّد ظنٍّ وتخمين فمنهم من يقول انهُ انتهى منذ عشرة آلاف سنة ومنهم منذ خمسين الفاً ومنهم ما بين ذلك . ولعلَّ القرن العشرين يكشف لنا هذه المكنونات ايضاً

الكيمياء

علم الكيمياء من العلوم التي ولدت ونشأت في القرن التاسع عشر مثل الجيولوجيا وما عرف منها قبل ذلك العهد كان رجماً وافتراضاً لم يبنيا على ناموس عموميٍّ معروف فلم تكن علماً . فلما جاء القرن الماضي عرف الكيماويون ما لم يكونوا يحلمون بهِ قبلاً مثل قياس حجم الدقائق والجواهر وسرعة حركتها وغيرهما من المباحث الدقيقة

ومن القضايا التي لا بدَّ من حلها ما اذا كانت المادة تتلاشى او لا . في الفلسفة الطبيعيَّة

ان عدم التلاشي من خصائص المادة العمومية وكثير من القضايا الفلسفية مبنيٌّ عليها . ولكن ظهر من ابحاث بعض العلماء وتجاربهم ان المادة تفقد بعض ثقلها في احوال معلومة بتغيرات طبيعية تطرأُ عليها لا بإِزالة بعض دقائقها منها . وهذا اذا صحَّ يفضي الى انقلاب عظيم في العلوم يعدُّ اعظم ما طرأ عليها منذ مئة سنة و يصبح المذهب السديمي ومذهب النشوء والارتقاء ومذهب قدمية الانسان من المذاهب الحقيرة القدر والشأن في جنبهِ وذلك لأن ثبوت الجواهر اي عدم تغيرها في مقدارها ونوعها اساس التصورات والآراء الصحيحة في كلّ فنّ ومطلب . فاذا انتقض هذا المذهب بقينا حيث نحن الآن وحيث كنا من قديم الزمان

ثم ان بعض الكيماويين شرعوا في صنع مركبات تحلُّ محلَّ المركبات الطبيعية ففازوا بعمل الكينا والسكر والالبومن للطعام والنترات لتسميد الارض وغيرها فمتى صاروا يصنعون مقادير عظيمة منها بحيث يسهل الاتجار بها عاد ذلك بالفائدة على الناس عموماً . وزد على ذلك سعيهم في اكتشاف مواد لتلقيح المصابين بالكوليرا والطاعون والحمى الصفراء والحمى التيفوبدية وشفائهم على مثال لقاح الدفثيريا والمرجح انهم يفوزون بمطلوبهم فيطول متوسط عمر الانسان

الطبيعيات

من اهم ما اكتشف في القرن التاسع عشر تحت هذا الباب ماهية الحرارة — اي انها حركة في دقائق المادة وجواهرها لا مادة كما كانوا يزعمون قبلاً . وكذلك الاثير وكثير من ظواهرهِ . فترتب على هذه الاكتشافات تقدم كثيرٍ من الاعمال والصنائع ونشوء صنائع جديدة اساسها الكهربائية ونشوء السبكترسكوب لدرس طبيعة الاجرام السموية وارتقاء التلسكوب فبلغ قطر بلورتهِ ٤ اقدام بعد ما كان ٤ بوصات

على انهُ وان كنا نعلم الآن ان الحرارة حركة في دقائق المادة وان سرعة تلك الحركة قياس الحرارة الَّا اننا نجهل ماهيتها قبلما تحولت حرارة ونجهل الصورة التي تكون عليها القوة في جواهر المادة فاننا نقول "القوة الكيماوية" مثلاً ولا ندري ماهيتها ولا ماهية الفرق بينها وبين قوة الحرارة وقوة الجاذبية . فاذا عرفنا هذا السرَّ لم يبعد ان نستخرج من الاثير ما نحتاج اليهِ من القوة لانهُ مشبع بها وفي كلِّ سنتيمتر مكعب من الفضاء من القوة ما تقضى بهِ حاجات رجل واحد اياماً كثيرة

ثم ان معرفة ماهية الاثير تمكننا من معرفة امور كثيرة منها لماذا تتخذ البلورات اشكالاً هندسية ولِمَ القوة التي نسميها بالحياة من خصائص النسيج الخلوي في الحيوان والنبات دون غيرهما

وليس الناس اكثر علماً بماهية الجاذبية منهم بماهية الحياة . فاننا نعلم كيفية فعلها وان هذا الفعل اسرع من فعل النور بملايين المرّات . هذا كل ما نعلمهُ عنها فاذا استطاع احد ان يعلم اكثر من ذلك عُدَّ من اعاظم المكتشفين

البيولوجيا

وعند علماء البيولوجيا مسائل كثيرة حاولوا حلّها فلم يهتدوا اليهِ . فقد ظهر من مباحث علماء القرن التاسع عشر ان جميع صور النبات والحيوان الموجودة الآن انما هي نتيجة تغيرات بطيئة طرأت على صور الاحياء الاولى ووظائفها منذ ملايين من السنين وهذا ما يسمونهُ بناموس النشوء والارتقاء . ولكن كيف حدثت تلك التغييرات وما الذي اوجبها هاتان مسألتان لم يتيسر لاحد الجواب عليهما بعد . فان دارون تكلّم عن الانتخاب الطبيعي والوراثة او الاختلافات المتعددة التي تطرأ على النسل وبقاء الاصلح منهُ ولكنهُ لم يذكر سبباً لوجود تلك الاختلافات وهذه هي المسألة العظيمة التي تنتظر الحلّ . فقد ثبت ان التغييرات الاكتسابية لا تورث وان الطبيعة لا تحتفظ بسوى التغييرات التي تحدثها هي لاسباب لا تزال مجهولة فانها تخلق الجبابرة والنوابغ جدًّا بالفطرة لا بالاكتساب من الوسط والمحيط . فاحوال الوراثة وشروطها شغل كبار البيولوجيين الشاغل

ومما حيَّر العلماء عموماً والبيولوجيين خصوصاً ما ظهر من سنة او سنتين وهو فقس البيض غير الملقح فقساً طبيعيًّا بمعالجتهِ ببعض المواد الكيماوية غير الآلية مثل كلوريد المغنيسيوم . وقد جرّبت هذه الطريقة مراراً فصحّت بحيث لم يبقَ ريب في صحتها . ومؤداها ان الحياة عمل كيماوي ولا يتوقف ظهورها في الجسم على تولّدهِ من جسم حيّ آخر سابق لهُ كما ان المواد الكيماوية في الجسم الحيّ لا يتوقف وجودها فيهِ على مواد كيماوية سابقة لها وانهُ اذا أُعدت تلك المواد باية طريقة كانت نشأت الحياة عنها . وزاد بيولوجيٌّ فرنسويٌّ على ذلك انهُ اذا قطعت البيضة ست عشرة قطعة مثلاً نشأ عن كلّ قطعة حيٌّ لا يختلف عن البيضة الاصلية في شيء سوى الحجم فانهُ يكون اصغر من الحيّ الاصلي طبعاً . وهذا اذا صحَّ فتح باباً جديداً للبحث تفوق اهميتهُ الفلسفية اهميتهُ البيولوجية كما لا يخفى

ومنذ بضع سنوات اكتشف عالمان المانيّان ان نقطة صغيرة من مزيج مؤلف من الزيت وأحد املاح البوتاس تشبه الاحياء المكرسكوبية من عدة اوجه فانها تتحرك من نفسها وتغيّر شكلها ولها دورة مختصة بها وتضيف الى نفسها دقائق من المواد التي حولها وتتأثر بالمؤثرات الخارجية . اي انها تفعل فعل الاحياء في كلّ شيء سوى شيء واحد وهو التوليد . وقد

سميت هذه النقطة البرتوبلازم الصناعية ولا ينقصها حتى تصير حيًّا صناعيًّا حقيقيًّا غير ان يضاف اليها بعض المركبات الكيماوية . بقي ان تعرف تلك المركبات لتضاف اليها

على ان كثيرين يشكّون في ما اذا كان يمكن عمل احياءِ صناعية ويقولون ان ذلك فوق طوق العلم البشري وان ظواهر الحياة والعقل خارجة عن نطاق العلم الطبيعي بخلاف الفلك والجيولوجيا والكيمياء وما شاكلها من فروع العلوم المختلفة . ولكن ما يقوله هؤلاء في الحياة الآن كان السابقون يقولونهُ في الفلك والجيولوجيا والكيمياء منذ عهد ليس ببعيد . ألم يكفر نيوتن لاعلانهِ اكتشاف ناموس الجاذبية بعلة ان ذلك مدعاة لنفي وجود الخالق . أو لم تشهر حرب الاقلام على الذين حملتهم الجرأة على القول ان عمر الانسان اكثر من ٦٠٠٠ سنة

وخلاصة القول ان القرن التاسع عشر خلّف للقرن العشرين قضايا صعبة المراس عسرة الحل مثل ماهية الكهربائية والحياة وعلاقة العقل بالجسد وغيرها من المسائل التي تُعدُّ الآن مما وراء الطبيعة وان تكن ظواهرها بادية للعيان وآثارها معروفة في كل مكان . واذا قسنا الحاضر بالماضي وقابلنا بين ما هو معروف الآن وما لم يكن معروفاً في قديم الزمان حكمنا ان هذه القضايا كلّها مما لا يتعذر حلّهُ . وليس حلّها على همة العلماء بعزيز

منتخبات من ديوان الحماسة

قال مسكين الدارمي

وَفتيانِ صدقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضِهِمْ ... عَلَى سِرِّ بعضٍ غيرَ أَنّي جِماعُها

لِكُلِّ امرِئٍ شِعْبٌ مِنَ ٱلْقَلْبِ فارِغٌ ... وَموْضِعُ نجْوَى لاَ يُرَامُ اطِّلاَعُهَا

يَظَلُّونَ شتَّى فِي ٱلْبِلادِ وَسِرُّهُمْ ... إِلى صخرةٍ أَعيا الرِّجالَ انْصِداعُها

وقال يحيى بن زياد

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لاَحَ بَياضُهُ ... بِمَفْرَقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا

وَلَوْ خِفْتُ أَنّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي ... تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ انْ يتنكبا

وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرْهٌ فَسَامَحَتْ ... بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

وقال المرار بن سعيد

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ
وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ

وقال عصام بن عبيد الزماني

أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ
أَدْخَلْتَ قَبْلِيَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمُ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيْتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ
فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلَتْ بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

وقال معن بن اوس

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَدُمْ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ
إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

وقال عمرو بن قميئة

لَا تَغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَمْسَى فُلَانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا
إِنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

وقال اياس بن القائف

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا

فأكرِم أخاكَ الدهرَ ما دُمتما معًا ... كفى بالمماتِ فُرقةً وتنائيا
إذا زُرتُ أرضًا بعدَ طولِ اجتنابِها ... فقدتُ صديقي والبلادُ كما هيا

وقال آخر

وأنتَ امرؤٌ إمّا ائتمنتُكَ خاليًا ... فخُنتَ وإمّا قلتَ قولًا بلا علمِ
فأنتَ منَ الأمرِ الذي كانَ بيننا ... بمنزلةٍ بينَ الخيانةِ والإثمِ

وقال سالم بن وابصة الاسدي

أُحِبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُهُ ... كأنَّ بهِ عن كلِّ فاحشةٍ وقرا
سليمُ دواعي الصدرِ لا باسطًا أذى ... ولا مانعًا خيرًا ولا قائلًا هجرا
إذا شئتَ أن تُدعى كريمًا مكرَّمًا ... أديبًا ظريفًا عاقلًا ماجدًا حرًّا
إذا ما أتتْ من صاحبٍ لكَ زلّةٌ ... فكُنْ أنتَ محتالًا لزلّتِهِ عذرا
غنى النفسِ ما يكفيكَ من سدِّ خَلّةٍ ... فإنْ زادَ شيئًا عادَ ذاكَ الغنى فقرا

وقال المؤمل بن اميل المحاربي

وكم من لئيمٍ ودَّ أني شتمتُهُ ... وإن كانَ شتمي فيهِ صابٌ وعلقمُ
وللكفُّ عن شتمِ اللئيمِ تكرُّمًا ... أضرُّ لهُ من شتمِهِ حينَ يُشتمُ

وقال بعض الفزاريين

أُكنيهِ حينَ أُناديهِ لأُكرمَهُ ... ولا أُلقّبُهُ والسوأةَ اللقبا
كذاكَ أُدِّبتُ حتى صارَ من خُلُقي ... أنّي وجدتُ ملاكَ الشيمةِ الأدبا

وقال رجل من بني قريع

اذا المرءُ أعيتهُ المروءةُ ناشئًا ... فمطلبُها كهلًا عليهِ شديدُ

وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهْوَ حَمِيدُ
وَإِنَّ امْرَءًا يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِماً مِنَ النَّاسِ إِلاَّ مَا جَنَى لَسَعِيدُ

وقال آخر

وَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ أَأَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ
عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ
وَفِي كَثْرَةِ الأَيْدِي لِذِي الْجَهْلِ زَاجِرٌ وَلَلْحِلْمُ أَبْقَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ

وقال آخر

وَإِيَّاكَ وَالأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَاذِرُ

وقال العباس بن مرداس

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاَتٌ نَزُورُ
ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُوماً وَلَمْ تَطُلِ الْبُزَاةُ وَلاَ الصُّقُورُ
لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى فَلاَ غِيَرٌ لَدَيْهِ وَلاَ نَكِيرُ
فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمُ قَلِيلاً فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمُ كَثِيرُ

وقال منظور بن سحيم

وَلستُ بهاجٍ في القِرى أهلَ منزلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبكي وأُبكي البَواكِيا
فإمّا كِرامٌ موسِرونَ أتيتهمْ فحسْبيَ من ذو عِندَهُمْ مَا كفانِيا
وإمّا كِرامٌ معسِرونَ عذرتهمْ وإمّا لِئامٌ فادَّكرتُ حيائِيا
وعِرضيَ أبقى ما ادَّخرتُ ذخيرةً وبطنيَ أطويهِ كطيِّ رِدائِيا

وقال سالم بن وابصة

ونيرَبٍ من موالي السوءِ ذي حسدٍ يقتاتُ لحمي ولا يشفيهِ من قرمِ
داويتُ صدرًا طويلاً غمرُهُ حقدًا منهُ وقلّمتُ أظفارًا بلا جلمِ
بالحزمِ والخيرِ أسديهِ وألحمُهُ تقوى الإلهِ وما لم يرعَ من رحمِ
فأصبحتْ قوسُهُ دوني موتّرةً يرمي عدوّي جهارًا غيرَ مكتتمِ
إنَّ منَ الحلمِ ذلاًّ أنتَ عارفُهُ والحِلمُ عن قدرةٍ فضلٌ منَ الكرمِ

وقال آخر

وأُعرِضُ عن مطاعمَ قد أراها فأتركُها وفي بطني انطواءُ
فلا وأبيكَ ما في العيشِ خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقيَ اللحاءُ

وقال نافع بن سعد الطائي

ألمْ تعلَمي أني إذا النفسُ أشرفتْ على طمعٍ لمْ أنسَ أنْ أتكرَّما
ولستُ بلوَّامٍ على الأمرِ بعدَ ما يفوتُ ولكنْ علَّ أنْ أتقدَّما

وقال حاتم الطائي

وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لِتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَائِبِ
وَمَا أَنَا بِالطَّاوِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفًّا وَأَتْرُكَ صَاحِبِي
إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقَلُوصِ فَلَا تَدَعْ رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبِ
أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبِ

وقال عروة بن الورد

دَعِينِي أُطَوِّفْ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أُفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الْحَقِّ مَحْمِلُ
أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحُقُوقِ مُعَوَّلُ
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ تُلِمُّ بِهِ الْأَيَّامُ فَالْمَوْتُ أَجْمَلُ

وقال آخر

تَثَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا وَخُلَّةِ ذِي وُدٍّ أَشُدُّ بِهِ ازْرِي

وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

لَا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحُزُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا

وقال مالك بن حريم الهمداني

وَأُنْبِئْتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
بِأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمُ
وَإِنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحُزُّ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحَرَّمُ
يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسْطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

وقال محمد بن بشير

لَأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بِالخَلَقِ وَأَجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالعُلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي وَكَانَ مَالِيَ لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي
لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي المَنْهَلِ الرَّنِقِ

وقال ايضاً والوزن كالاول

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجَا أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا
كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا
قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا
وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

وقال رجل من الفزاريين

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الجُسُومِ وَنُبْلِهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي القَوْمِ الطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

محمد علي باشا

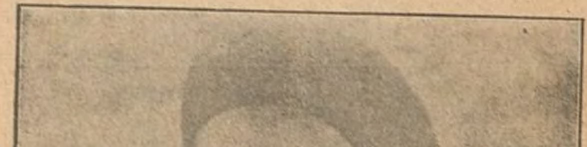

ابرهيم باشا

تاريخ محمد علي باشا

تابع ما قبله

لما استتبّ الامر لمحمد علي باشا في الديار المصرية ولم يبقَ له منازع قوي يخشى شره بعد نكبة المماليك وجَّه عنايته الى استرضاء الدولة فاخمد لها ثورة الوهابية في الحجاز وساعدها على اخماد ثورة اليونان . وكان يعلم ان ذلك كلهُ لا يكفيها بل قد تعزله في اية ساعة ارادت وتولي مصر مَن يدفع لها اكثر منهُ وانهُ لا بدّ له من ان يعدّ المعدّات الحربيّة لمناوأتها اذا تصدّت له وهذه المعدات من جنود واسلحة وسفن حربية لا تقوم الاَّ بالمال الوافر فتصرّف في جمعهِ على طرق شتَّى حتى لم يعد في الامكان ان تزاد الضرائب عما صارت اليهِ فحوّل عنايتهُ الى اصلاح الزراعة والصناعة والتجارة لكي يزيد ريع البلاد ودخلهُ منها لانها اصبحت ملكاً لهُ والى افتتاح السودان لاستخراج الذهب من مناجمهِ وتجنيد الجنود من اهاليهِ والتخلص من الارنؤود الذين صار يخشى شرهم والى تنظيم الجنود المصرية على حسب الطرق الجديدة لكي يسهل عليهم مصادمة جنود الدولة اذا دعت الحال الى ذلك . حتى اذا قوي ساعدهُ خرج على الدولة فغزا سورية وفتح مدنها عنوة ونكّل بالجيوش العثمانية في معارك كثيرة كما سيجيء وكاد يصل الى عاصمة السلطنة . ولولا الدول الاوربية ولا سيما انكلترا لكانت السلطنة العثمانية على غير ما هي عليهِ الآن وسنشرح هذه الامور باوجز عبارة

اخماد ثورة الوهابية

نشرنا في هذا الجزء فصلاً آخر يبين فيهِ اصل الوهابية وتحوُّلهم من الدعوة الدينية المحضة الى الغرض السياسي . وقد همَّ الدولة العلية امرهم لئلا تقوم في بلاد العرب خلافة عربية تنازعها الملك ولأن اشراف مكة رأَوا ان امرهم صائر الى العدم اذا استفحل امر الوهابية فلم ينفكوا عن الاستنصار بالدولة عليهم مع ما كان فيها من الاضطراب الداخلي بقيام الانكشارية على السلاطين وقتلهم . فاستعانت بمحمد علي على الوهابية فكفاها شرهم ولكن بعد ان افنى في حروبهم بدرات الاموال وسفك دماء الوف من الرجال . وقد سيَّر عليهم ثلاث حملات الحملة الاولى بقيادة ابنهِ طوسون اوفدها سنة ١٨١١ وكان الشريف غالب امير مكة يكاتب محمد علي ويظهر له النصح والصداقة ويعدهُ بنصرة عساكرهِ متى وصلت الى الحجاز . قال الجبرتي انهُ كان "ينافق للعثماني والوهابي في وقت واحد لانهُ كان يخاف الوهابي فيقول له انهُ معهُ على العهود التي عاهدهُ عليها من ترك الظلم واجتناب البدع وكان يميل الى العثمانيين لكونهِ

على طريقتهم. ووصل جنود هذه الحملة الى قلعة ينبع وامتلكوها عنوة ونهبوا كل ما كان فيها من الودائع والاموال والاقمشة والبن وقتلوا الرجال وسبوا النساء والبنات وباعوهنَّ ووصل المبشرون بذلك الى القاهرة فضربت المدافع من القلعة وطاف المبشرون على بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وارسلوا بتلك البشارة شخصاً الى اسلامبول يبشرون اهل الدولة وسلطان الاسلام باول فتح حصل"

وسارت الجنود المصرية من ينبع الى ان وصلت الى الصفراء والجديدة والارض هناك جبليَّة وكان العرب قد كمنوا لها فيها فهزموها شر هزيمة فهربت من وجوههم لايلوي اولها على آخرها ولجأ بعضها الى البريك وبعضها الى ينبع وبعضها الى المويلح وهي تظن العرب جادين في اثرها ولااحد يتبعها وعاد كثيرون منها ومن زعمائها الى مصر. قال الجبرتي "ولقيتُ بعض اكابرهم من الذين يدَّعون الصلاح والتورع فقال لي انَّى لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا آذان ولا تقام فيهِ فريضة . والقوم (الوهابية) اذا دخل الوقت اذن المؤذن فينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذَّن المؤذن وصلُّوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الاخرى للصلاة وينادون في معسكرهم هلمَّ الى حرب المشركين المستبيحين الزنا الشاربين الخمر التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الانفس المستحلين المحرمات"

وبلغ شريف مكة ما حلَّ بالجنود المصرية عند الصفراء والجديدة فكاتب محمد علي وبيَّن لهُ من اين تؤكل الكتف وذلك ان الذين هزموا الجنود المصرية هم عرب حرب والصفراء وهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئاً ويقولون لهم قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلتم لهم الاموال واغدقتم عليهم الانعام صاروا معكم وملكوكم البلاد . فجدَّ محمد علي في جمع الاموال باي وجه كان وارسلها صناديق محملة وجعل يرسل تجريدة بعد تجريدة الى ينبع وقصد اعوانهُ شيخ قبيلة حرب ولم يزالوا بهِ حتى وافقهم على غرضهم فاعطوهُ مئة الف فرانسه عدا الخلع والفراء وشالات الكشمير واعطوا كذلك بقية شيوخ العرب فسهلوا عليهم الاستيلاء على المدينة المنورة ثم على مكة وجدة . وبلغ الخبر محمد علي فافرج عنهُ ثم سار بنفسهِ الى الحجاز لكي يقوي جنودهُ على قهر الوهابية ولعلهُ اراد ايضاً ان يجد سبيلاً لامتلاك تلك البلاد حاسباً انهُ اذا لقب بصاحب الحرمين الشريفين رسخت في الولاية قدمهُ وانتشرت في الاقطار مهابتهُ واحجمت الدولة العلية عن مصادرتهِ . واخذ معهُ جماعة من الضباط الاوربيين ليديربهم جنودهُ .

وكان زوج اخت شريف مكة قد خرج الى الوهابية وانتصر لهم فأُخذ اسيرًا ووضع الشريف الاغلال في عنقهِ وارسلهُ الى الاستانة فاسقط في يد الامير سعود امير الوهابية وأرسل يفتديهِ بالمال وطلب الصلح من محمد علي وشريف مكة فاجيب ان الصلح لا يتم ما لم يدفع كل ما أُنفق على الجنود من ابتداء الحرب الى ذلك الحين ويرد كل ما غنمهُ من الحجرة الشريفة ويدفع قيمة كل ما تخرَّب بسببهِ

ثم ان محمد علي قبض على شريف مكة غيلةً وعلى اولادهِ وارسلهم الى جدَّة ومنها الى مصر واستولى على اموالهم وكنوزهم وهي وافرة جدًّا وفيها سبحات من الجوهر النفيس وأمَّر الشريف يحيى بن الشريف سرور بدلاً من عمهِ لكن عملهُ لم يقع موقع الرضى عند رجال الدولة العلية لانهم اوجسوا منهُ شرًّا فارسلوا اليهِ ليرد الشريف الى مكة ويرد اليهِ ما اخذهُ منهُ من الاموال والذخائر . وعاد محمد علي الى مصر بغتة لانهُ بلغهُ ان خزندارهُ لطيف باشا عاد من الاستانة ومعهُ فرمان الولاية لنفسهِ وكان قد ارسلهُ اليها بخبر فوزهِ على الوهابية

وتوفي الامير سعود امير الوهابية وخلفهُ ابنهُ عبد الله وكان ضعيف الراي لين العريكة يكره الحرب وسفك الدماء فارسل الى طوسون باشا يعرض عليهِ الطاعة وتمَّ الصلح على ان يحتل طوسون باشا مدينة الدرعية عاصمة بلاد نجد وهي عاصمة الوهابيين ويرد الوهابيون ما اخذوهُ من الحلي والجواهر من الحجرة الشريفة ولا سيما الماسة المعروفة بالكوكب الدري التي زنتها مئة وثلاثون قيراطًا. وجاء نفر من الوهابيَّة الى القطر المصري حينئذٍ والتقى الجبرتي باثنين منهم وقال انهُ وجد منهما انسًا وطلاقة لسان واطّلاعًا وتضلّعًا ومعرفة بالاخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الاخلاق وحسن الادب في الخطاب والتفقُّه في الدين واستحضار الفروع الفقهيَّة واختلاف المذاهب . وانهما دخلا الجامع الازهر وسألا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل وعن الكتب الفقهيَّة المصنفة في مذهبهِ فقيل لهما ان اهل هذا المذهب انقرضوا من ارض مصر . واشتريا نسخًا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشَّاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها

ولم يرضَ محمد علي بهذا الصلح لانهُ لم يُنِلْهُ ما كان يبتغيهِ من بلاد العرب فارسل ابنهُ الاكبر ابرهيم باشا لتأديب الوهابيَّة وعاد طوسون باشا الى مصر واصيب بالطاعون وتوفي بهِ . اما ابرهيم باشا فانهُ ابلى بالوهابيَّة وفتح مدنهم ومعاقلهم فسلموا لهُ واتى باميرهم عبد الله الى مصر ليسير منها الى الاستانة فقابلهُ محمد علي بالبشاشة وقام لهُ اكرامًا واجلسهُ الى جانبهِ وحادثهُ وقال لهُ ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال فقال محمد علي وكيف رأيت ابرهيم باشا

قال بذل الهمة وما قصَّر حتى كان ما قدَّرهُ المولى . وكان معهُ صندوق صغير سألهُ محمد علي عمّا فيهِ فقال هذا ما اخذهُ ابي من الحجرة اتيت بهِ لآخذهُ الى السلطان وفتحهُ فاذا فيهِ ثلاثة مصاحف ونحو ثلثمئة حبَّة من اللؤلوء الكبير وحبَّة زمرُّد كبيرة . فقال لهُ محمد علي ان اباك اخذ من الحجرة اشياء كثيرة غير هذه فقال هذا الذي وجدتهُ عند ابي فانهُ لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسهِ بل اخذ منهُ كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة. فقال محمد علي هذا صحيح وقد وجدنا عند الشريف اشياء من ذلك

ووصل الامير عبد الله الى الاستانة فطافوا بهِ في شوارعها ثلاثة ايام ثم قطعوا رأسهُ وزالت بهِ شوكة الوهابيَّة

فتح السودان

كان محمد علي يسمع عن حروب نبوليون وعن مهارة الجنود المنظمة وتتوق نفسهُ الى تنظيم جنودهِ وحاول ذلك غير مرة فلم يستطع لان الجنود التي عندهُ من الارنؤود والدالاة والمغاربة كانت تثور عليهِ وتضطرهُ الى العدول عن رأيهِ فلما عاد من الحجاز وكان قد استخدم بعض الضباط الفرنسويين صمم على تنظيم جنودهِ بواسطتهم فثار رؤساء الجنود عليهِ وتآمروا على الفتك بهِ وافشى واحد منهم سرَّهم فاحتاط محمد علي لذلك ولما رأوا ان مكيدتهم عرفت لم يسعهم الرجوع عن عزمهم لانهُ لا بدَّ لهُ من الانتقام منهم على كل حال فاجمعوا على ان يتفرقوا في شوارع القاهرة و يعيثوا فيها فساداً حتى يتألب حولهم الرعاع وتشتد الفتنة ففعلوا ولكن دارت الدائرة عليهم . ورأى محمد علي حينئذٍ ان لا بدَّ لهُ من ارسال فريق كبير من الجنود غير المنظمة من البلاد حتى يتيسَّر لهُ تنظيم البقية وكان قد سمع عن غنى السودان ورأى التبر يؤْتى بهِ من سنار وزيَّن لهُ بعضهم سهولة الاستيلاء عليها وتجنيد الجنود منها فبعث اليها حملة عقد لواءها لابنهِ الاصغر اسمعيل باشا وكان قد علَّم جنودها بعض الفنون الحربية بارشاد الكولونل سڤ Sèves الفرنسوي ياور الجنرال ناي وهو الذي سمي بعدئذٍ سليمان باشا الفرنسوي فسهل عليها الفوز على السودانيين . وارسل حملة أُخرى عقد لواء لصهرهِ محمد بك الدفتردار بعث بها لفتح كردوفان . وفتح اسمعيل باشا بلاد النوبة بعضها سلماً و بعضها حرباً وظلَّ سائراً الى ان وصل الخرطوم في نحو عشرة اشهر وسار منها قاصداً سنار وكان يلاقي بعض الصعاب في طريقهِ لان المماليك الذين فرُّوا من القطر المصري الى بلاد السودان اخذوا معهم بعض البنادق والمدافع وعلَّموا السودانيين كيفية الحرب والصدام . ودخل اسمعيل باشا سنار من غير حرب لان ملكها بلغهُ ما حلَّ بغيرهِ فلاقاهُ طائعاً فاقرَّهُ عليها ولكن وقع المرض والدوسنطاريا في جيش اسمعيل

باشا فمات اكثره ُ وبلغ محمد علي ذلك فبعث بابنهِ ابرهيم باشا لكي ينقذ البقية الباقية من جنود اسمعيل وينظم البلاد ويتم فتحها الى منابع النيل في فرعيهِ الابيض والازرق . واصيب ابرهيم باشا بالدوسنطاريا فعاد ادراجه ُ الى مصر وتولى ياوره ُ طوسن بك قيادة جيشهِ

واما محمد بك الدفتردار فالتقى بجنود كردوفان في باره وهزمهم واثخن فيهم قتلاً واسرًا لانهم كانوا مسلحين بالسيوف والحراب واما جنوده ُ فكانوا مسلحين بالبنادق والمدافع . ثم بلغهُ ان الملك نمرًا ملك شندي اغتال اسمعيل باشا فعاد الى المتمة واثخن في اهلها وذلك ان اسمعيل باشا عاد الى شندي لانهُ بلغهُ ان ملكها جاهر بالعصيان فلما وصلها استحضره ُ اليهِ وعنَّفهُ وفرض عليهِ جزية فاحشة فاضمرها له ُ ودعاه ُ الى وليمة هو ورجاله ُ وسقاهم كثيرًا من المسكر وكان قد جمع قشًا وهشيماً حول مكان الوليمة فاضرم فيهِ النار ووقف هو ورجاله ُ بسيوفهم حول النار يقتلون من يحاول الفرار منها فمات اسمعيل باشا خنقًا ومات كل الذين معهُ وانتشر الخبر في السودان فجاهر امراؤُه ُ بالعصيان وعاد الدفتردار الى شندي كما تقدَّم فقتل اهل المتمة ووجد ان الملك نمرًا هرب من وجههِ فاحرق شندي وضرب في البلاد يقتص من الخارجين عن الطاعة ويحرق المدن ويقتل السكان الى ان وصله ُ الامر من محمد علي بالرجوع الى مصر فرجع اليها وقد دوَّخ بلاد السودان ومهَّدها للولاة الذين جاءوها بعده ُ ولم يجد فيها محمد علي ذهبًا كثيرًا ولا حجارة كريمة لكنهُ استفاد من تجارتها ومن الرقيق الذي كان يرد منها . ولم يحسن ولاتهُ ادارتها فبقي اسم الترك عند السودانيين مرادفًا للظلم والقسوة حتى الآن

اخماد ثورة اليونان

وثارت بلاد اليونان تطلب الاستقلال فاستعان الباب العالي عليها بمحمد علي ليشغله ُ عن طلب الاستقلال فخرج عليها ابرهيم باشا بنحو ثمانية آلاف من المشاة وثمانمئة من الفرسان والمدفعية وكان قد استخدم كثيرين من الضباط الفرنسويين والايطاليين لتنظيمهم وكان معهُ اسطول كبير فيهِ ثلاثون بارجة واربع حراريق و ١٦ من مراكب النقل التركية و ٢٨ من مراكب النقل الاوربيين فعُقد الفوز له ُ في كل المعارك تقريبًا حتى خيف من انهُ يستأثر بامتلاك بلاد اليونان ولكن جاءت واقعة نفارينو المشهورة سنة ١٨٢٧ فتلف بها الاسطول المصري والاسطول التركي ثم جاءت معاهدة لندن فحرمتهُ من ثمرة حربهِ في بلاد اليونان . وارسلت الجنود الفرنسويَّة لاخراج الجنود المصرية من تلك البلاد ولكنهُ جنا شيئًا آخر وهو ان جنوده ُ تمرَّنت على الحروب المنتظمة حتى فازت في المعارك التي وقعت بينها وبين الجنود العثمانية كما سيجيء

تعمير البلاد

لا نريد بتعمير البلاد هنا ترقية اهاليها وتسهيل سبل الكسب لهم وحفظ ما في يدهم من الاموال والمقتنيات كما تفعل الممالك المتمدنة الآن . بل تكثير خيراتها وترويج متاجرها حتى ينال واليها النفع الاكبر منها . هذا هو الغرض الذي كان محمد علي يرمي اليهِ في ما فعلهُ في البلاد ودليلنا على ذلك انهُ كان يناظر التجار ويحاول احتكار التجارة والاستئثار بالمكاسب كلها واذا بلغهُ ان احداً من الاهالي جمع ثروة طائلة صادرهُ فيها حتى يبتزها منهُ وقد يبتز روحهُ معها . وتاريخ الجبرتي مملوء من هذه المصادرات حتى ان الثروة كانت اكبر بليَّة على الناس. والظاهر ان الايام لينت طباعهُ في اخريات ايامهِ فصار حليماً رؤُوفاً يرأف بالناس ولو اثروا وقد ينعم عليهم بالاموال الطائلة

اما الملوك الذين غرضهم الاول تعمير بلادهم فلا يتصدون للتجارة ولا يناظرون الناس في اعمالهم ولا يصادرون الاغنياء بل يكرمونهم ويحسبونهم من دعائم ملكهم

وقد اورد الجبرتي اخباراً كثيرة عما كان محمد علي يفعلهُ في احتكار التجارة قال في حوادث سنة ١٢٢٥ هـ انهُ "سافر الى الاسكندرية ليبيع الغلال التي جمعها من البلاد بالفرض التي فرضت على الاهالي فباع الافرنج اكثر من مئتي الف اردب كل اردب بمئة غرش وسعر الاردب في مصر ثمانية عشر غرشاً وهو لم يشترِها ولم تكن عليهِ بمال بل اخذها من زراعة الفلاحين من اصل ما فرضهُ عليهم من الظلم مع تطفيف الكيل والزامهم بكلفة شيلهِ واجرة نقلهِ الى المحل الذي يلزمونهم بوضعهِ فيهِ واخذ من الافرنج ثمنهُ اصناف النقود من الذهب المشخص البندقي والمجر والفرانسه والبضائع من الجوخ والقرمز والقصدير". فهذه مئتا الف جنيه وكأَنها خرجت من جيوب الفلاحين ودخلت جيبهُ

وقال في حوادث سنة ١٢٣١ انهُ " استمرَّ في بناء السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلي وبحري الى الاسكندرية لتباع للافرنج الاردب من الحنطة بستة آلاف فضة . وكان اذا استوفى كل المطلوب من الفلاحين وبقي عندهم شيء من الحبوب اخذهُ منهم وحسبهُ لهم بنصف ثمنهِ ولا يعطيهم هذا النصف بل يحسبهُ لهم من اصل المال الذي يطالبون بهِ في العام المقبل . ولرغبتهِ في التجارة انشأَ سفناً بحر الروم وبحر القلزم واقام لهُ وكلاء في كل الاساكل حتى ببلاد فرنسا وانكلترا ومالطه وازمير وتونس ونابلي والبندقية واليمن والهند واعطى اناساً مقادير عظيمة من الاموال ليسافروا بها ويجلبوا البضائع وجعل لهم الثلث في الربح نظير سفرهم وخدمتهم فمن ذلك انهُ اعطى للرئيس حسن المحروقي خمسمائة الف فرانسه ليسافر بها الى الهند

ويشتري البضائع الهندية ويأتي بها الى مصر ولشخص آخر ستمائة الف فرانسه وكذلك لمن بذهب الى بيروت وبلاد الشام لمشترى الحرير . وعمل في مصر مصانع لنسج القطن والحرير والجنفيص واحتكر ذلك وابطل دواليب الصنّاع واقامهم يشتغلون وينسجون في المناسج التي احدثها ويأخذ من ذلك ما يحتاج اليهِ وما زاد يرميهِ على التجار وهم يبيعونهُ للناس باغلى ثمن وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفًا بعد ان كان يباع بنصفين"

وقال في مكان آخر انهُ "اخذ كل ما ورد في مراكب التجار من البضائع على ذمتهِ ثم باعهُ للتسببين بما احب من الثمن . وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجي وحبهُ اخضر وجرمهُ اكبر من جرم البن اليمني الذي يأتي الى مصر في مراكب الحجاز فاخذهُ في جملة ما اخذهُ في معاوضة الغلال ورماهُ على باعة البن في مصر بثلاثة وعشرين فرانسه القنطار والتجار يبيعونهُ بالزيادة ويخلطونهُ مع البن اليمني وهو دون البن اليمني في الطعم واللذة وبينهما فرق ظاهر" . ولخص تلك الاقوال في حوادث سنة ١٢٣٥ حيث قال "ان اسباب الخراب التي نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة وزاد على ذلك احتكار جميع الاصناف والاستيلاء على ارزاق الناس فلا تجد مرزوقًا الاَّ مَن كان في خدمة الدولة متوليًا على نوع من انواع المكوس او مباشرًا او كاتبًا او صانعًا في الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينمّ بها عليهِ فيحاسب عن مدة استيلائهِ فيجتمع عليهِ جملة من الاكياس فيلزم بدفعها وربما باع دارهُ ومتاعهُ فلا يفي بما تأخر عليهِ فاما يهرب ان امكنهُ الهرب واما يبقى في الحبس هذا اذا كان من ابناء العرب واهالي البلد واما اذا لم يكن منهم فربما سومح او تصدّى لهُ من يخفف عنهُ او يدخلهُ في منصب او شركة فيرتفع ويرجع احسن مما كان"

وهذا ابلغ وصف رأينا للاسلوب العقيم الذي جرى عليهِ محمد علي في تعمير القطر المصري ولا عجب اذا زالت آثار اعمالهِ النافعة لانها كانت مرتبطة بهِ ومتوقفة عليها فلما زال زالت ولم يبقَ منها الاَّ ما هو عمومي مثل الترعة المحمودية التي اوصل بها الماء الى الاسكندرية وجعلها كافية للملاحة . وسد ابي قير الذي ردَّ بهِ غوائل البحر عن مديرية البحيرة . والقناطر الخيرية وهي وان لم تفد في زمانهِ لكنها افادت في هذا العصر بعد ان قوّيت ووثّقت جدرانها فوائد لا تقدّر بمال لانهُ لولاها ما امكن زرع القطن في الوجه البحري ولو لم يبنها هو لبنيت في هذا العصر

وكتب المستر باركر الذي كان قنصلاً لانكلترا في هذا القطر يصف اشتغال محمد علي

بالتجارة قال لما انيت هذا القطر كنت احسب ان سموَّهُ يرسل الحاصلات الى اوربا لتباع فيها كما يفعل التجار فيكتب الى عميلهِ مثلاً اني مرسل اليك كذا وكذا من القطن في السفينة الفلانية وطيهُ ورقة الشحن فاستلم البضاعة بموجبها وادفع اجرة الشحن وبع البضاعة بالثمن الأحسن وابقِ صافي الثمن تحت امري . وظننت انهُ يمكنني ان اقنع بوغوص ليرسل بعض القطن الى اخي في جنوى لكنني وجدت الامر على غير ذلك فان الباشا عرف بالاختبار ان التجار يخونونهُ اذا ائتمنهم ولذلك فالطريقة الفضلى لهُ ان يأتي بالقطن الى الاسكندرية ويبيعهُ بالمزاد لمن يرسو عليهِ اعلى سعر ويكون الثمن نقدًا . ثم صار يحتاج الى النقود قبل اوان الموسم لكثرة ما تقتضيهِ مشروعاتهُ من النفقات فصار يقول للتجار اني اقدم لكم بعد ثلاثة اشهر او اربعة او خمسة او ستة كذا بالة من القطن واطلب منكم الآن تسعة اعشار الثمن نقدًا واتعهَّد بارسال القطن الى عملائكم في اوربا . وقد بلغ من تناظر التجار بعضهم مع بعض ان اوصل بيت فرنسوي منهم ثمن القنطار الى ثلاثة عشر ريالاً يدفع نصفها او ثلثيها سلفًا والباقي عند التسليم . ويقول الذين ذاكرتهم في هذا الموضوع من اصدقائي ان هذا الثمن فاحش وفيهِ غبن كثير على المشتري . واذا بعث الباشا بالقطن الى التاجر وعلم انهُ يبقى عندهُ جانب من الثمن طلب منهُ ان يرسل اليهِ بعض الآلات الثمينة او نحو ذلك مما يفوق ثمنهُ الجانب الباقي من ثمن القطن حتى يكون مديونًا لا دائنًا حاسبًا ان حماقة تجار اوربا تجعلهم يرسلون ما يطلبهُ منهم لكي لا يخسروا معاملتهُ

ثم كتب في غرة سبتمبر سنة ١٨٢٩ يصف استعداد محمد علي لمحاربة السلطان قال ان الباشا باذل اقصى جهدهِ في تحصين الثغور البحرية لانهُ يحسب ان السلطان سيعود اليهِ ويناقشهُ الحساب بعد فراغهِ من حرب الروس . وعندهُ الآن خمسون الفًا من الجنود المنظمة وخمسة عشر الفًا من البدو وهو قادر على مناوأة السلطان من حيث عدد الجنود وتنظيمها ولكن سلطة السلطان الدينية وان تكن قد ضعفت كثيرًا لا تزال ترهبهُ . وقد سمعنا الآن بمقدمات الصلح بين الاتراك والروس . ثم كتب يقول : طغى النيل سنة ١٨٢٩ فاتلف من المزروعات ما يقدَّر بثلاثة ملايين من الريالات ولذلك تأخر محمد علي عن مساعدة السلطان على دفع القسط الاول من غرامة الحرب لروسيا ولكنهُ لم يتأخر عن التأهُّب مخافة من ان يقصدهُ السلطان بمكروه . وغاظهُ عقد الصلح بين الدولة والروس لانهُ اراح السلطان . وقد انزل في الاسبوع الماضي فرقاطة محمولها خمسون مدفعًا بناها لهُ رجل تركي امي لا يقرأُ ولا يكتب. وعندهُ رجل فرنسوي اسمهُ ده سريسي وهو الذي يبني سفنهُ عادةً وقد بنى لهُ الآن بارجة

محمولها ١١٠ مدافع ولا يزال يبني ثلاث بوارج أُخرى عدا الفرقاطات والكورفتات

وكتب سنة ١٨٣٠ يقول لم تبقَ شبهة في ان محمد علي ينوي الاغارة على بلاد الشام لان الاستعداد لذلك قائم على ساق وقدم . وقد تكلم ابرهيم باشا مع ضباط جيشهِ وبيَّن لهم عزمهُ على مناوأة الدولة كأنهُ يريد ان يؤثر في عقولهم استعداداً لهذا الحادث الجلل حتى اذا حدث لا يستعظمونهُ . ومما قالهُ لهم " ماذا انتفعت انا او انتفعتم انتم من السلطان لو طلبنا منهُ شربة ماء لمنعها عنا . ونحن كلنا قد اكلنا خبز محمد علي وربينا عندهُ كاولادهِ وبفضلهِ وكرمهِ وصلنا الى ما صلنا اليهِ انا وانتم . مصر لهُ اخذها بسيفهِ ولذلك لا نعرف لنا حاكماً غيرهُ "

وكتب يصف بعض المصانع التي انشأها محمد علي قال لما صرنا على مقربة من رشيد التفتُّ الى الشاطىء فاذا انا بجبل من بالات القطن فيهِ الف وخمسمائة بالة وبجبل آخر من اكياس الفول يصعد عليهِ السياح فيطلون على المدينة والبلاد المجاورة لعلوهِ . ورأيت اربعين آلة لضرب الارز وقشرهِ ومعملين بديعين لنسج القطن ومعملاً فاخراً لعمل الطرابيش المغربية لم يستطع الاوربيون ان يناظروهُ . وفي هذه المعامل ثلاثة آلاف او اربعة آلاف عامل لا يساعدهم احد من الاوربيين

وكتب سنة ١٨٣١ يقول ان محمد علي شرع في بناء بارجة محمولها ١٣٦ مدفعاً وستكون اكبر بوارج الدنيا طول جسر قاعدتها مئتا قدم وعرض ظهرها نحو ستين قدماً . وقد بلغ قطنهُ هذا العام ١٥٠ الف بالة ففاق محصول الاعوام السالفة وعندهُ زراعة واسعة من الخشخاش لاستخراج الافيون وقد نجحت زراعة شجر التوت لتربية دود الحرير ولا يزال الايطاليون يديرون معامل السكر والروم . والمدبغة في رشيد تدبغ من الجلود ما يكفي لاحذية الجنود والبحارة

وزبدة القول ان محمد علي امتلك الديار المصرية بالحرب والحيلة وجرى على الاساليب التي كان يجري عليها معاصروهُ من اهل المشرق وكال لخصومهِ بالكيل الذي كانوا يكيلون لهُ بهِ لو تمكنوا منهُ . ثم سمت نفسهُ الى توطيد قدمهِ وتوسيع ملكهِ فاعدّ ما استطاع من عدة واستخدم ما اتصلت اليهِ يدهُ من الوسائل لتنظيم الجيوش وعمل الاسلحة وبناء البوارج واوجد ما يلزم لذلك من الاموال الطائلة باستغلال البلاد واصلاح زراعتها واخذ كل ما امكن اخذهُ من اهاليها والقبض على ازمة الصناعة والتجارة . وقد اضطرهُ ذلك الى حماية الاوربيين وترغيبهم في الاقامة فيها فروعيت حقوق الناس رويداً رويداً الى انتسخت اساليب الجور القديمة . اما الحملة على بلاد الشام وما جاورها فسنفرد لها فصلاً خاصاً في الجزء التالي

أَلرجل أَسعد ام المرأَة

يتفنن اصحاب الجرائد الغربية تفنناً غريباً في ابتكار المواضيع وابتداع الطرق والاساليب لترويج جرائدهم وفتح باب المناقشة والمناظرة في المواضيع الادبية والاجتماعية التي يتشوق الجمهور اليها ويقبلون عليها مثل مسألة العزوبة والزواج والمقابلة بين الجنسين الرجال والنساء في الخَلق والخُلق كقولهم " ايٌّ اجمل الرجل او المرأة " وقولهم " ايٌّ اسعد عيشاً الرجل او المرأَة " فيقبل الكتاب على الكتابة في امثال هذه المواضيع وكلٌّ يرى رأْياً ويذهب مذهباً

ومن هذه المواضيع ما اقترحهُ صاحب مجلة بيرصون في جزء حديث. فانهُ كان يتنزه في بعض الغياض فرأَى سنجاباً يتسلق شجرة فتمنى لو مسخ مثلهُ يوماً واحداً ثم عاد بشراً فيخبر بما كان يشعر بهِ في اثناء مسخهِ . وخطر في بالهِ ان يسأل قراء مجلتهِ من العلماء الطبيعيين السؤال الآتي وهو " لو أُتيح لكم ان تمسخوا حيوانات فاية الحيوانات تختارون " فمنهم من اختار الفيل ومنهم من اختار الوعل ومنهم من اختار القرد او السمكة او الذبابة او العصفور. والذي اختار الذبابة انما اختارها لسرعة طيرانها في الهواء فتتمتع من مناظر الطبيعة ومشاهدها بما لا يتيسر لانسان ولكن لم يرضهِ قصر عمرها. ومن اختار العصفور قال انهُ اختارهُ لانهُ ملك الهواء يتقلب في طبقاتهِ كيف شاء ويحوم على الاشجار ذات الاثمار ويتنقل في الرياض بين الازهار

وفائدة الكتابة في هذه المواضيع شاملة للكاتب والقارىء . فالاول يجد فيها متسعاً للتصورات والتخيلات مما يشحذ القرائح ويعوّد القلم السيولة في كلّ ما ينتدب اليهِ . والثاني يتعلم منها ما لم يكن يعلمهُ ولاسيما اذا كان الكاتب ممن حوى ووعى

عرفنا استاذاً كان يقترح على تلامذتهِ الكتابة في مواضيع على هذا المنوال ظاهرها تافه مضحك وباطنها مفيد مهذّب . منها " لو كنت هرّاً " اي ان يحسب كلٌّ منهم نفسهُ هرّاً ويكتب تاريخ عمرهِ من لدن شبّ حتى درج وما جرى لهُ في حياتهِ وما ارتكب من السرقات وما اتى من المنكرات . فكان كلٌّ يكتب ما تملي عليهِ مخيلتهُ وتجود بهِ قريحتهُ

كتب بعضهم في الموضوع الذي سبقت الاشارة اليهِ في صدر هذه المقالة وهو " ايٌّ اسعد عيشاً أَلرجل او المرأَة " فوضع نفسهُ تارةً موضع الرجل وطوراً موضع المرأَة . فذكر المزايا التي للرجل على المرأَة كما يشعر بهِ هو ثم المزايا التي للمرأَة على الرجل كما صوّرهُ لهُ الخيال

واراهُ الاختبار والمشاهدة ثم وضع مزايا كلٍّ في كفة من كفتي ميزان خيالهِ فرجحت كفة المرأة وحكم انها احسن حالاً واسعد عيشة من الرجل . قال

يمتاز الرجل على المرأة بانهُ اقوى بدنًا واقل تأثرًا وشعورًا . وهو يعتقد انهُ اسعد حالاً من المرأة واعتقادهُ هذا يساعدهُ على احتمال كثير من متاعب الحياة ومشاقها بلا تأفف ولا تذمر . ولعل هذا الاعتقاد وهميٌّ لا اساس من الصحة لهُ ولكنهُ متأصل في صدور الرجال الى حدٍّ ان اشقاهم حالاً وانحسهم طالعًا يأبى ان يكون امرأة ولو كانت اهنأ النساء عيشًا واسعدهنَّ طالعًا . وعندهُ ان اسعد النساء اشقى من اشقى الرجال

على ان الكون كلهُ اوهام في اوهام ولولا ذلك لباد السلام وساد الخصام . فان النساء يعتقدن اعتقادات ليست اقلَّ تاصلاً في صدورهنَّ من الاعتقاد المتقدم في الرجال بل ربما كانت ارسخ في نفوسهنَّ واثبت . اما تاثير اعتقاد الرجال المذكور آنفًا فيهم فهو انهُ يجعلهم لطفاء في معاملة النساء راغبين في العمل والسعي لعيالتهنَّ حريصين على الذود عنهنَّ . وهذا الامر طبيعي لازم لانهُ اذا ربي فتى كملت فيهِ صفات الرجولة بين فتيات قويات البنية مستقلات الراي عظيمات النفوذ والسلطة عليهِ ضعفت فيهِ صفات الرجولة ونشأ اشبه بالنساء منهُ بالرجال . وبعبارة اخرى ان اختبارهُ للفتيات اللواتي نشأ بينهنَّ لم يعلمهُ ان المرأة ضعيفة تستحق عطف الرجل عليها ومساعدتهُ لها كما هو اختبار الرجال عادة بل انها اقوى منهُ فينحط لذلك من مقام الرجال . وهذا شان الرجل الذي يتزوج امرأة مترجلة فانهُ يخضع لها في الغالب وتفتر همتهُ وتضعف عزيمتهُ

هذا ولما كان الرجال اكثر حرية واستقلالاً من النساء كانوا بالطبع اكثر تعرُّضًا للخطر منهنَّ فان حريتهم في الشغل والعمل جعلتهم اقوى بنية واكثر تعرُّضًا للمشاق والمخاطر . ثم ان الرجال اكثر تعلمًا من النساء وتمرسًا بشؤُون الحياة وعليهِ ينتظر منهم اكثر مما ينتظر منهنَّ فاذا قصروا طولبوا على قدر معرفتهم واستحقوا اللوم على قدر اختبارهم لان الذي يعرف كثيرًا يطالب باكثر

ويقاسي الرجال من مناظرة اقرانهم ومنافستهم اكثر مما يقاسي النساء ولكن النساء لا يعلمن ذلك لان الرجال قلما يخبرونهنَّ بهِ والمرأة لا تخشى اختها مثلما يخشى الرجل اخاهُ . فانك كثيرًا ما ترى الرجل يقضي عليهِ يأسًا بسبب ما يلقى من نكران الجميل وقلة الاخلاص والوفاء واللؤم ممن كان يظنهم خلَّص الاصدقاء فضلاً عما ينالهُ من كيد الاعداء وانتقامهم . اما المرأة فقلما ينالها مثل ذلك

والعمر اشبه بمرسح او ميدان صفَّت حولهُ المقاعد والمجالس فيتصارع الرجال في ساحتهِ ويتطاعنون ويقتل بعضهم بعضاً على ان النساء يجلسن في كراسيهنَّ ويشاهدن ما يجري وجهد ما يلقين من العناء انهنَّ يتزاحمن على المقاعد الامامية وغاية ما ينال المغلوبة منهنَّ انها لا تجد لها كرسيًّا فتقف خلف المقعد الاخير بعيدة عمَّا يتعرض لهُ المتبارزون من الموت او العار

ثم ذكر الكاتب بعض هموم النساء ومشاغلهنَّ فقال ان منها هموم الزواج والازواج والاولاد والخدم والخياطات . ثم هموم العزوبة وما فيها من العزلة وما تجرهُ من الكآبة والسوداء فتشتغل الغنيات منهنَّ بالمبرات . ومتوسطات الحال بالاقتصاد حتى تستفيد الواحدة من الدينار قدر ما تستفيد الغنية من خمسة دنانير . والفقيرات اما باحتراف الحرف واما بارتكاب المعاصي . ومن رأيهِ انهُ مهما كثرت هموم النساء ومشاغلهنَّ فهي دون هموم الرجال ومشاغلهم

المرأة بين الغيرة والحبّ

وقف الرجل والمرأة في تاريخ الماضي وحوادث الحاضر والحكايات والروايات مواقف لا يشتهيها احد لعدوّ فضلاً عن صديق — وقفا بين عاملين قويين تنازعاها وتجاذباها كقطعة حديد بين مغنطيسين متساويين في القوة لا يقوى احدهما على جذبها اليهِ الَّا اذا قلَّت قوة الآخر او صارت اقرب اليهِ منها الى الآخر

ففي تاريخ الماضي وقف بطرس الاكبر بين عاطفتين شديدتين حبّ بلادهِ وحبّ ولي عهدهِ فقدم الاول على الثاني لما رأى ان حبّ ولي عهدهِ على ما كان بهِ من السفه والطيش والعناد يجرُّ على البلاد الخراب والدمار فامر بقتلهِ برًّا بوطنهِ

وفي تاريخ الحاضر ذكروا ان امرأة يابانية كانت متزوجة بروسيّ فلما نشبت الحرب بين الروس واليابانيين باتت كمن بين نارين فاما حب الوطن واما حب الزوج فقدمت الاول قائلة الزوج والاولاد فداء البلاد وهجرت بيتها برًّا بشعبها

وفي الحكايات ان ملكاً حُكم على ولي عهدهِ بقلع عينيهِ فاما ان يعفو عن ابنهِ فيسخط العدل ويرضي الرحمة او ان ينفذ الحكم فيهِ فيرضي العدل ويسخط الرحمة ويحرم ابنهُ لذة بصرهِ فاختار الثاني ولكنهُ فقأ عينًا من عيني ابنهِ وعينًا من عينيهِ فوفق بين العدل والرحمة بما يرضيهما كليهما

وفي الرواية المعروفة باسم "غرام وانتقام" وقف بطل الرواية بين حب معشوقتهِ

والانتقام من ابيها قاتل ابيهِ فاختار الثاني دون الاول ولم يمنعهُ هوى حبيبتهِ عن الاخذ بالثار ازالة للعار

ومن اجمل ما ذكر من امثال هذه النوادر ما ورد في بعض المجلات من ان فتاة أُوقفت موقفاً حرجاً بين حب حبيبها وبين الغيرة عليهِ من بنات جنسها . ومتى عرفتَ ان الغيرة اظهر صفات المرأة واقوى العواطف المتسلطة عليها ادركتَ حرج موقفها وشدة حيرتها . وتحرير الخبر ان اميرة حبشية احبت فتى من رعايا ابيها فلما درى الملك بذلك استشاط غيظاً وحكم على محبوب ابنتهِ بان يقاد الى مشهد لهُ بابان مقفلان داخل احدهما وحش كاسر وداخل الآخر فتاة جميلة . ثم امرهُ بان يفتح الباب الذي يختارهُ فاذا كان وراءهُ الوحش مزقهُ ارباً او كان وراءهُ الفتاة زوجهُ اياها حالاً واطلق سبيلهُ وعفا عنهُ

فحار الفتى في امرهِ وادار نظرهُ في جمهور المشاهدين حولهُ فوقعت عينهُ على عين الاميرة حبيبتهِ وكانت هي وحدها تعلم ما في كلٍّ من الغرفتين فأشارت اليهِ ذات اليمين ففتح الباب الذي هناك وماذا لقي —

هذه هي الحكاية وقد طلبت المجلة من قرائها ان يكتبوا اليها آراءهم في المسألة — هل دلت الاميرة حبيبها على الباب الذي كان الوحش وراءهُ فلقي حتفهُ او دلتهُ على الباب الذي كانت الفتاة الجميلة وراءهُ فتزوج بها . وبعبارة اخرى هل تغلب حب الاميرة لحبيبها على غيرتها من الفتاة الجميلة التي اختارها ابوها ليزوجهُ اياها فدلتهُ على الغرفة التي كانت الفتاة فيها فتزوجها . او تغلبت غيرتها على حبها فدلتهُ على الغرفة الاخرى حيث افترسهُ الوحش الضاري مفضلة موتهُ على تزوجهِ بفتاة اخرى غيرها

فلبى الكتَّاب دعوتها رجالاً ونساءً وتباروا في هذا الميدان فانقسموا فريقين فمن ذاهب الى ان الاميرة دلت حبيبها على باب نجاتهِ ومن ذاهب الى انها دلتهُ على باب حتفهِ . واكثر الكاتبات من الفريق الاول وحجتهنَّ في ذلك انهُ وان تكن الاميرة حبشية وليست على درجة سامية من التمدن والحضارة فانهُ لايهون عليها ان ترى حبيبها يمزق ارباً امام عينيها . وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الاول . قالت احدى السيدات : —

في رأيي ان الاميرة دلت حبيبها على الباب الذي خرجت الفتاة منهُ لانها اذا كانت مخلصة في حبها لهُ ضحَّت كل شيء لتفتديهُ وتنقذهُ

وقالت اخرى انهُ وان كان اقتران حبيب الاميرة بغيرها مما يهيج كوامن غيرتها الى حد الجنون الاَّ انها لا بدَّ ان تكون قد قالت في نفسها ما دمتُ في قيد الحياة ففسحة الامل

واسعة امامي . ولا يبعد ان تفعل كلَّ ما في وسعها بعد ذلك للفصل بين حبيبها ومناظرتها اما بابعادها الى خارج البلاد او بواسطة اخرى

وقال كاتب اري ان الاميرة عقدت نيتها على انقاذ حبيبها فلا تفقده بوقوعهِ بين براثن الوحش المفترس وان كان انقاذها لهُ يعد خسارة لها من جهة اخرى باقترانهِ بفتاة غيرها . والسبب في عقدها النية على تخليصهِ علمها انهُ وان تزوج غيرها لم يفتإ العمر عن ان يحلها المحلَّ الاول من قلبهِ وهذا مما يعزيها لانهُ ما من شيء تطمح المرأة اليهِ في هذا العالم الفاني اعظم من ان يكون لها المقام الاول في قلب رجل قوي الارادة كريم الاخلاق . وهي لا تخشى ان تفقد مكانتها عندهُ علماً منها بميل الرجل ميلاً فطريًّا الى الارتقاء في المناصب. ثم انها تؤمل ان تموت زوجتهُ فتتزوجهُ بعد موت ابيها وهذا الأمل يوسع مجال العيش في عينها ويمكنها من احتمال المحنة بالصبر والسكينة

وقال آخر ان الغيرة قد تكون اشدَّ من الحبّ ثورة ولكن الحبّ يتغلب عليها اخيرًا فلو كانت الفتاة قد اجتذبت حبيب الاميرة اليها بمحاسنها وفتنتهُ عنها بدهائها وحيلها لتغلبت الغيرة على الحب . وهو لم يسئ اليها وانما اساء اليها ابوها بالحكم الذي حكم بهِ على الشاب

وهاك بعض ما قيل دفاعاً عن المذهب الثاني . قالت احدى السيدات

لا ريب عندي ان الاميرة دلَّت الشاب على باب الهلاك لانها حبشية نزقة الطبع فائرة الدم لا تطيق ان ترى ضرة لها شأن الاميرات غير المتمدنات ولو كانت متمدنة لكان الامر على خلاف ذلك

وقال كاتب لقد علمت باختبار احوال الناس وسبر قلوبهم وخصوصاً قلوب النساء ان الحب والغيرة اسمان لمسمًّى واحد . وكثيرات من النساء يفضلن ان يرين احباءهنَّ امواتًا على ان يتزوجوا غيرهنَّ اذ لا بغض اشدَّ من بغض المرأة للمرأة فلا غرابة اذا سلَّمت الاميرة حبيبها الى الهلاك عفوًا واعتباطًا . وقال آخر ان غيرة المراة اشدُّ وطأة من حبّها

ومن الكتَّاب من مزج المزح بالجد فقال ان الاميرة دعت مدير معرض الحيوانات اليها وطلبت منهُ ان يضع في احدى الغرفتين نمرًا كان حبيبها قد رباهُ وعلمهُ الصراع وصارعهُ مرارًا في المرسح امام ابيها وغيرهِ من المشاهدين . فلما أُطلق عليهِ لم يمسَّهُ بسوءٍ بل جعل يدور حولهُ متوددًا اليهِ ثم انقلب على جنبهِ كأنهُ ميت . فلما رأى ابو الاميرة ذلك دهش فزوج الشاب ابنتهُ باحتفال حافل

الطعام واللباس

من المسائل التي يكثر تداولها على الالسن قولهم ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس . وقد ظهر بالاختبار ان ما نحتاج اليهِ من الطعام يختلف كثيرًا باختلاف الاحوال واخصها الاقليم الذي نسكنهُ والحرفة التي نحترفها فان الذين يحترفون الحرف الشاقة من بدنية وعقلية يحتاجون الى مقادير من الطعام اكثر مما يحتاج اليهِ الذين لا شغل لهم ولا عمل بل يقضون معظم الوقت في البطالة والكسل . وطعام الذين يسكنون الاقاليم الحارة يجب ان يختلف في كميتهِ ونوعهِ عن طعام سكان الاقاليم الباردة

ومعظم الناس يأكلون اكثر مما يجب ان يأكلوا ولا يمكن تعيين كمية واحدة من الطعام لكلّ احد . ولكن وجد بعد البحث ان متوسط ما يلزم للبالغ من الذكور من الطعام الجامد في اليوم بين ٥٠٠ و ٧٠٠ درهم ومن الماء بين ٦٠٠ و ٩٠٠ درهم . والاناث يحتجن الى اقل من ذلك

وهذا الطعام الجامد اما ان يكون كلهُ نباتًا او خليطًا من الاطعمة النباتية والحيوانية والطعام المختلط خير من غيرهِ والناس يميلون اليهِ . وهم اقل حاجة الى الطعام في الصيف منهم اليهِ في الشتاء والسبب في ذلك ان الطعام مصدر حرارة الجسم ولما كان الجسم يشعُّ من حرارتهِ شتاء اكثر مما يشعُّ منها صيفًا كانت حاجتهُ الى ما يعوِّض الحرارة في الحالة الاولى اكثر منها اليهِ في الحالة الثانية

واكثر مواد الطعام توليدًا للحرارة اللحم وخصوصًا الدهن وكأن الناس عرفوا ذلك بالغريزة فترى سكان الاصقاع الباردة يكثرون من اكل اللحوم وبعضهم يقتصر عليها دون غيرها وترى سكان المناطق الحارة يكثرون من اكل ما تنبت الارض من حبوب وبقول واثمار . وكأن الطبيعة تروم تنبيه الناس الى الاقلال من اكل اللحوم في الصيف والاكثار من المواد النباتية فتكثر الاثمار والبقول صيفًا

واكثر الخضر غذاء البازلاء واللوبياء والفصولياء والاثمار الموز . اما الاثمار الكثيرة الماء كالبطيخ والبرتقال وما اشبه فانها قليلة الغذاء ولكن لها فوائد كثيرة

والانسان يشرب عادة في فصل الحر بين ٦٠٠ و٩٠٠ درهم من الماء كلّ يوم ولكن طلب الماء يتوقف على درجة افراز العرق فكلما زاد افرازهُ زاد طلب الماء وكلما قلّ قلّ . وافضل ما يخفف العطش ويبرد الظمأ الماء المعتدل البرودة . ولكن اذا برد الماء كثيرًا وشربت منهُ

جرعات كبيرة كان منهُ ضرر وهكذا يقال في جميع المبردات فانها تضرُّ المضم وتسبب التخمة اذا اكثر الانسان من شربها او شرب منها جرعات كبيرة . اما شرب الماء المبرَّد جرعات صغيرة فانهُ يخفف العطش ولا يضرُّ

ومن احسن المبردات الليموناده وسائر ما يدخلهُ الليمون على شرط ان يصنع من الليمون الطبيعي · اما ما يصنع من حامض الطرطير وحامض الليمون والحامض اللبنيك فمضرٌّ جدًّا والسوائل الغازية مثل الغازوزة منعشة للجسم لاحتوائها على غاز الحامض الكربونيك

وليس اضرُّ من شرب المشروبات الروحية في الحرّ · فان الذين يكثرون من شربها اقلُّ احتمالاً من غيرهم للحرّ واكثر عرضة للاصابة بالرعن (ضربة الشمس) · وقدّ اشتدَّ الجدال بين الاطباء على ما اذا كان الكحول مغذيًا يحسن شربهُ في حال الصحة او لا . والاكثرون على انهُ اذا لم تزد كمية ما يشرب منهُ في اليوم على ١٢ درهمًا فهو مفيد على الغالب اما الخمور التي هي اقلُّ كحولاً واخفُّ فعلاً فيجوز الشرب منها الى حدّ ثمانين درهمًا · واذا مزجت بالغازوزة انعشت في الحرّ

اما اللبس فخير للانسان أن لا يلبس ملابس غامقة اللون في الحرّ لانها تمتصُّ من الحرارة اكثر من غيرها واحسن الالوان الابيض فالاصفر فالضارب الى الحمرة فالضارب الى الخضرة فانها اقلُّ امتصاصًا للحرارة واسرع اشعاعًا

اساطيل الدول

اتَّضح الآن ان للاساطيل الحربيَّة الشأن الاكبر لدى الدول البحرية وان للبوارج المقام الاول بين الاساطيل لانها اقوى من غيرها في الهجوم واصبر في الدفاع . وقد عني قلم المخابرات البحرية في الحكومة الاميركية بالمقابلة بين اساطيل الدول ووصل في هذه المقابلة الى اول يونيو الماضي اي الى ما بعد المعركة البحرية الاخيرة بين الروس واليابان · وجعل اساس المقابلة كبر السفن الحربية وعمرها . وقسم السفن الى تسعة اقسام الاول البوارج التي من الطبقة الاولى وهي التي تفريغها عشرة آلاف طن فاكثر· والثاني حاميات السواحل من البوارج الصغيرة والسفن المراقبة · والثالث الطرادات المدرعة · والرابع الطرادات التي تفريغ الواحد منها اكثر من ٦٠٠٠ طن · والخامس الطرادات التي تفريغ الواحد منها بين ٦٠٠٠ و٣٠٠٠ طن · والسادس الطرادات التي تفريغها بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠ طن · والسابع متلفات قوارب الطوربيد ·

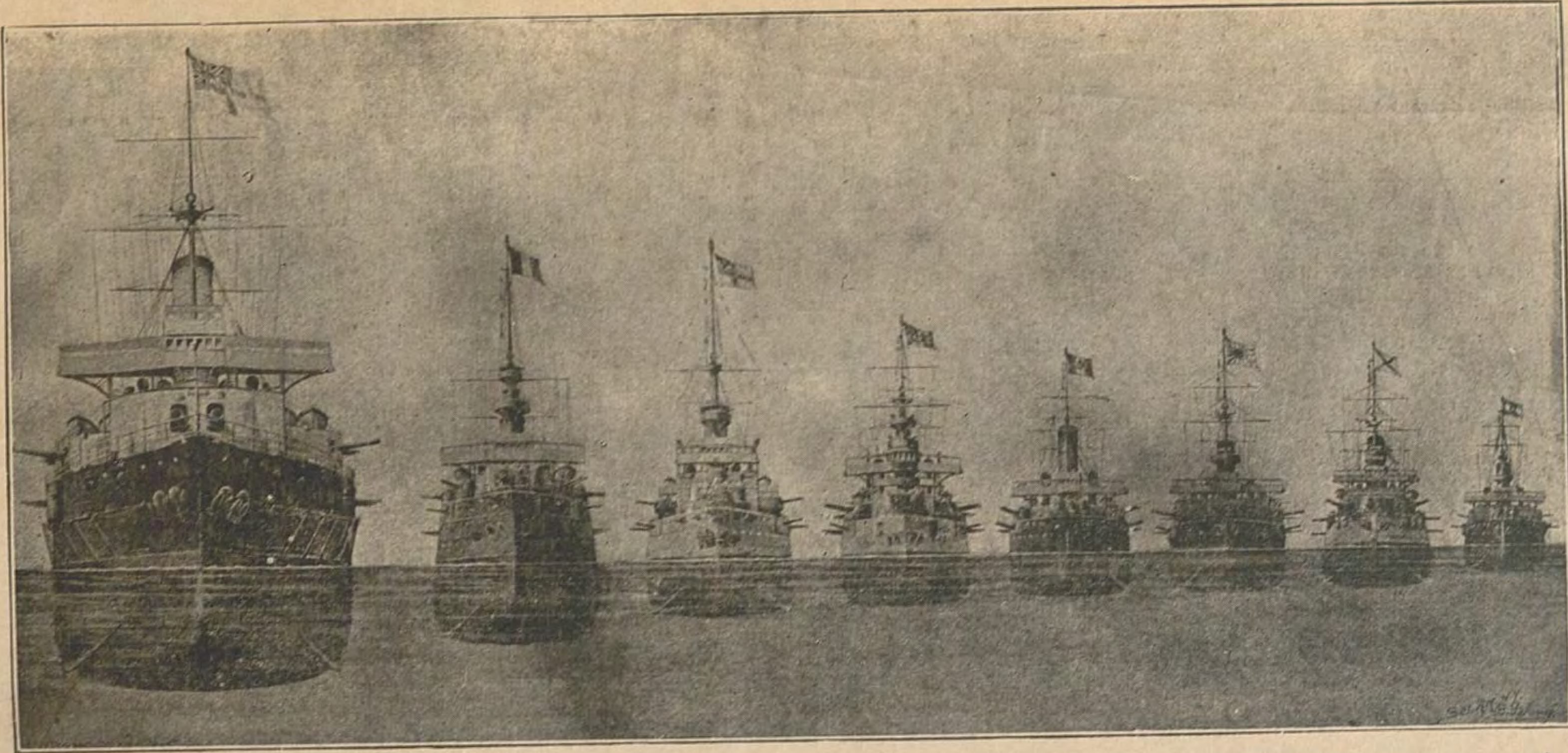

النمسا	روسيا	اليابان	ايطاليا	اميركا	المانيا	فرنسا	انكلترا
١١٣٣٣٦	٢٢٤٢٣٧	٢٥٢٦٦١	٢٥٤٥١٠	٣١٦٥٢٣	٤٤١٢٤٩	٦٠٣٧٣١	١٥٩٥٨٧١

نسبة اساطيل الدول بعضها الى بعض بعد المعركة البحريَّة الاخيرة كما لو اجتمع اسطول كل دولة في بارجة واحدة . وتحت كل بارجة قوة الاسطول كلهِ طنَّات

(نقلاً عن السينتفك اميركان)

والثامن قوارب الطوربيد . والتاسع الغوّاصات . وقد حُسب بين الطرادات كل السفن الحربية غير المدرعة التي تفريغها اكثر من الف طن وأُهمل وصف الطرادات المحمية لان كل الطرادات صارت محمية بدروع تحمي آلاتها

ولقد كان ترتيب الدول البحرية في اول هذا العام هكذا : بريطانيا . فرنسا . روسيا المانيا . الولايات المتحدة . ايطاليا . اليابان . النمسا . فكانت نتيجة المعركة البحرية الاخيرة ان هبطت قوة روسيا البحرية من المقام الثالث الى المقام السابع وصارت تحت اليابان فصار ترتيب الدول البحرية هكذا : بريطانيا . فرنسا . المانيا . الولايات المتحدة . ايطاليا . اليابان . روسيا . النمسا . وصارت نسبتها بعضها الى بعض هكذا

بريطانيا	١٠٩٥٨٧١	طن	ايطاليا	٢٥٤٥١٠	طن
فرنسا	٠٦٠٣٧٢١	"	اليابان	٢٥٢٦٦١	"
المانيا	٠٤٤١٢٤٩	"	روسيا	٢٢٤٢٣٧	"
الولايات المتحدة	٠٣١٦٥٢٣	"	النمسا	١١٢٣٣٦	"

وقد ذكر في الجدول التالي عدد ما عند كلٍّ منها من البوارج والطرادات وقوارب الطربيد الخ

	بريطانيا	فرنسا	المانيا	اميركا	ايطاليا	اليابان	روسيا
بوارج من الطبقة الاولى	٥١	١٩	١٦	١٢	١٣	٥	٧
حاميات السواحل	٦	١٧	١٦	١٢	١	٥	٧
الطرادات المدرعة	٢٩	١٨	٤	٢	٥	٨	٣
طرادات فوق ٦٠٠٠ طن	٢١	٤	.	٢	..	..	٤
" بين ٦٠٠٠ و ٣٠٠٠	٥٠	١٨	٩	١٦	٠٥	١١	٣
" بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠	٥٦	١٨	٢٧	٢١	١٢	١١	٧
متلفات قوارب الطربيد	١٢٦	٣١	٣٧	١٦	١١	٢٢	٣٣
قوارب الطربيد	٩٠	٢٣٨	١٠٥	٢٧	١٠١	٨١	٨٢
غواصات	٠٩	٣٧	٠١	٠٨	٠١	١١	١٣

وفي اول يناير الماضي كانت قوة روسيا البحرية ٤٤٧٣١٥ اي اعظم من قوة المانيا وكانت قوة اليابان حينئذٍ ٢٢٠٧٥٥ فخسرت روسيا نصف قوتها غرقًا واسرًا فصارت ٢٢٤٢٣٧ وكسبت اليابان ما محمولهُ ٣٢٠٠٠ طن فصارت قوتها البحرية ٢٥٢٦٦١ وستزيد قوتها بانتشال بعض البوارج والطرادات الروسية واغتنام ما دخل المرافئ المحايدة في جملة غرامة الحرب

ثم ان جانباً كبيراً من العمارة الباقية لروسيا محصور في البحر الاسود لا يستطيع الخروج منهُ وتفريغهُ ٩٣٠٠٠ طن فالباقي لروسيا مما تستطيع ان تلقى بهِ اعداءها في عرض البحار لا يزيد على ٢٣٧ ١٣١ طن . واذا استولت اليابان على السفن الروسية اللاجئة الى المرافئ الاجنبية زادت عمارتها بارجة وخمسة طرادات ومدفعية وستة من قوارب الطربيد فتصير قوة اسطولها ٣٠٠٥٢١ طناً فتفوق ايطاليا وتقارب الولايات المتحدة الاميركية واذا تقاضت غرامة الحرب من روسيا فلا بدَّ لها من ان تبني بوارج ومدرعات فتفوق الولايات المتحدة بل قد تفوق المانيا ايضاً وتصير عمارتها الثالثة في الدنيا

باب التقريظ والانتقاد

اشهر مشاهير الاسلام

في مثل هذا الاوان من السنة الماضية اهدى الينا حضرة المؤرخ المدقق رفيق بك العظم الجزء الثالث من كتابهِ "اشهر مشاهير الاسلام" وكان الكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص. واهدى الينا الآن الجزء الرابع وهو يتضمن سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان احد الصحابة ومن اشتهر في دولتهِ

والكتاب ابواب تبحث في نسب عثمان واسلامهِ وصحبتهِ وخلافتهِ وفتوحهِ ومآثرهِ واخلاقهِ وكتبهِ وخطبهِ ومقتلهِ . ويلي هذه الابواب كلام عن عبدالله بن عامر وحبيب بن سلمة الفهري وتاريخهما

وقد ضمنهُ من المباحث السياسية والاجتماعية ما يدلُّ على اصالة رأيهِ وصدق وطنيتهِ ورغبتهِ الشديدة في مصلحة امتهِ وبلادهِ مع الاعتدال التام في ذكر الاسباب كقولهِ في فصل عقدهُ للخلافة والدين

يؤْخذ من مجمل ما نقلناهُ بهذا الصدد ان البيعة وان كان يتوقف عقدها على رضى الجمهور الاَّ انها لم تتأسس على قاعدة محض الاختيار اعني اختيار الامة او من ينوب عنها من اهل الحل والعقد ولو تأسست على تلك القاعدة لكانت الحكومة الاسلامية اقرب للجمهوريَّة منها للمكية وكذلك لو استمر العهد بالخلافة من واحد الى اخر على شرط تقيد الامير بقانون

الشورى لكان اسلم عاقبة واسد لذرائع الخصام والانقسام كما قال ذلك معاوية بن ابي سفيان لابن حصين حين وفد عليهِ. ولكن لما لم تكن كذلك واخذ اصل البيعة شكلاً بين شكلين شكل الشورى وشكل الاستبداد او شكل الاطلاق والتخصيص تولدت في ثنايا الخلافة جراثيم النزاع حتى افضى الامر بعدُ الى التغالب والغالب بالضرورة قهّار قلما يراعي اميال الامة وتحري قاعدة الشورى التي نوَّه بمحاسنها الشرع فلا جرم ان تستحيل حكومة ذلك مآل رئاستها الى استبداد قاهر بعيد عن مقاصد الاسلام غالب للمسلمين على امرهم كما حصل بعد وكان سبباً عظيماً لكمون الضعف في ثنايا القوة المريعة التي قامت بها دول الاسلام حتى اذا آن اوان الراحة والنزوع الى التمتع بجني الاسلام اخذ ذلك الضعف يظهر في كل جزء من اجزاء الامة وفي كل عضو من اعضائها حاكماً كان او محكوماً حتى بلغ لهذا العهد غاية تنذر بانحدار سريع: لا وقوف معهُ: من شاهق ذلك المجد القديم والقوة الماضية التي بلغت في عصرها اقصى ما تبلغهُ قوى الدول القائمة في ابان زهوها

ان الدول ما زالت تقوم وتقعد وتضعف وتقوى والامم كذلك . غاية ما في الامر ان الضعف اذا تناهى يغير احياناً شكل الامم كما لو قيل ان الرومان اخلفهم الطليان وان اليونان اخلفهم البزنطيون وان هؤلاء اخلفهم الاروام والاصل في الحقيقة لكل شعب واحدٌ تقمص قديمهُ بجديدهِ في شكل آخر ولو مزيجاً واقام لهُ دولة غير الاولى . وهكذا الشأن في كل امم المغرب مع ما لاقتهُ من ضروب الشقاء والاستبداد وما انتابها من القوة والضعف فانها ما زالت تسقط وتقوم وتعالج انواع الارزاء وتحاول بعد الهبوط الى الحضيض العروج الى السماء حتى بلغت من الحياة هذا المبلغ الذي يرى الآن وتقمصت في شكل جديد لم ترَ مثلهُ عين الزمان

رب سائل يسأل كيف اذن لم يتلافَ المسلمون امر ذلك الضعف واستمروا منذ اخذوا بالتقهقر في منحدرهم الذي لا نهاية لهُ غير الموت والخذلان مع ما يشاهدونهُ من حال الملل الاخرى التي صار اليها ملك الاسلام . فالجواب عنهُ ان ذلك الضعف الذي اشرنا الى انهُ كمن في ثنايا القوة منذ تأسست دولة المسلمين انما منع المسلمين عن تلافيهِ بل ألجأهم للاعراض عن معالجتهِ امران : الاول : ما قدمناهُ من عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث اخذت الخلافة شكلاً ترك ثغرة كبرى للولوج اليها من طريق القوة والتغالب فاوجد نزاعاً مستمرّاً من اجلها في الامة افضى الى مصير الامر ليد الغالب والغالب لا يتقيد بالشورى ولا يجاري رغائب الامة بالضرورة

والامر الثاني اصطباغ الدولة منذ نشأتها بصبغة دينية مهدت السبيل لاولياء امر الامة

بعد الخلفاء الراشدين للاخذ على ايدي الرعية وافواهها باسم الدين وجعل الحياة السياسية للامة حياةً دينية لاسبيل معها لنوابغ الامة وعقلائها للتنقل بها في مدارج الرقي الطبيعي الذي تقتضيهِ حالة كل عصر سواء كان في حياة الامم السياسية او حياتها الاجتماعية لاسيما بعد ان قالوا بحرمة الاجتهاد ووقفوا عند حد محدود من الفروع وهذا ما جعل ذلك الضعف الكامن ينمو في جسم الامة نموًّا جعلها تأنس بحياة السكون والاستسلام وتعطي بازمتها الى الامراء والحكام حتى في عصر زال فيهِ الاعتقاد بوجوب الطاعة العمياء للامراء وجوبًا دينيًّا وعرف اكثر عقلاء المسلمين ان الدين لن يكون مانعًا من قيام الدول على قاعدة مراعاة الاصلح وانما هو تأثر النفوس بحكم العادة المألوفة للاباء اخذ باعنة الابناء الى سلوك سبيل الاقتداء

واعلم ان الشارع جوّز الاجتهاد باحكام المعاملات دون العبادات وهي العقائد والاعمال لان الاولى تتعلق بمصلحة المسلمين الدنيوية والثانية تتعلق بمصلحتهم الدينية. والنصوص الدينية لا اجتهاد فيها لانها قطعية واما المعاملات فقد اعتبرها الشارع دنيوية واجاز فيها الاجتهاد تيسيرًا على الامة في وضع الاحكام بازاء الحوادث التي لا تتناهى . هذا في المعاملات فما بالك بامور الامة السياسية التي يناط بها قيام الدول لا جرم انها اولى ان تعتبر دنيوية وان تكون لذلك حياة المسلمين السياسية غير حياتهم الدينية . ولا يعترض هنا ان الكتاب الكريم امر بالشورى ووعد المؤمنين بالاستخلاف في الارض وان في هذا اشارة الى كيفية وضع الحكومة ووجوب كونها شوروية فاستلزم ذلك ان تكون دينية اذ هذه اصول او كليات يتمشى عليها ما يتمشى على كليات الاحكام الاخرى من جواز الاجتهاد في جزئياتها وفروعها لجعلها دائرة مع المصلحة الدنيوية . ومقومات الحكومة كثيرة لا تنحصر في الكليات ولا تختص بزمان او مكان بل هي تابعة للحاجة سائرة مع ترقي الزمان ومن ثم كانت حياة المسلمين السياسية بعيدة بالضرورة عن الحياة الدينية لانها قائمة بالاجتهاد السائر مع الحاجة الدائر مع المصلحة

لا جرم ان الصحابة عرفوا هذا الاصل فجنح الخلفاء الراشدون منهم الى الشورى في تدبير امور الدولة كما رأيت من سيرة الخليفتين ما فيهِ الكفاية وعرفوا ان لهم ما وراء ذلك الاصل ان يأخذوا بما هو نافع لهم من مقومات الملك لانهُ منوط بالمصلحة التي يقتضيها التيسير على المسلمين وتستلزمها حاجة الدولة فاخذوا اصول الحكومة الادارية عن الفرس كتدوين الدواوين وفرض العطاء ومسح الارضين واحصائها ووضع الخراج عليها واستعمال التاريخ وغير ذلك مما مر بك ذكرهُ في هذا الكتاب . وفاتهم ان ياخذوا عن الرومان اصول الحكومات النيابية الثابتة التي تقوم بالتكافل بين افراد الامة وتضمن استمرار قاعدة الشورى التي اوجبها

الكتاب الكريم وانما اذهلهم عن هذا ان ليس لديهم تاريخ في اصول الحكومات يرجعون اليهِ وكانت الحكومات النيابية بعيدة العهد يومئذٍ من مجاوريهم الرومانيين فلجأوا الى اناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة ومضى هذا على وجههِ حتى جاء عصر كان الامام فيهِ هو المتسلط على كل شؤون الدولة تسلطًا ملازمًا لتسلطهِ الديني فكما ان لهُ ان ينيب عنهُ اماماً في الصلاة فلهُ ان ينيب عنهُ قاضياً للقضاء وكانت الخلافة لذلك اشبه بالدينية منها بالسياسية وامتزجت بسبب ذلك السياسة بالدين امتزاجاً ادّى الى استمرار سير الحكومة على نمط واحد وجمود الافكار على مبدإِ الخضوع المطلق للامير باعتبار ان الامير رئيس ديني تجب لهُ الطاعة مع التغاضي عما يجب عليهِ في مقابلها من العدل

ان اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بصبغة الدين حوَّل الاحزاب السياسية التي تقوم في الدول لخير الامة ومصلحة الشعب الى فرق دينية كانت في الاسلام آفة الدين ومفرق شمل المسلمين. مثالهُ ان الاحزاب السياسية التي قامت في الصدر الاول لمطلق الغرض السياسي او الانتصار لزيد والاخذ بناصر بكر ما لبثت ان انقلبت الى فرق دينية ومشت الى الانتحال في الدين كالخوارج مثلاً فانهم بعد ان كانوا يذهبون الى عدم لزوم الخلافة ووجوب العمل بمبدإِ التعاون العام في امور الدين والدنيا انقلبوا الى نحل دينية فرقت شمل المسلمين. وكالشيعة فانهم بعد ان كانوا ينتصرون لعليّ رضي الله عنهُ لاعتقاد انهُ اهل للخلافة ويريدونهُ عليها ولو بالقوة انقلبوا ايضاً الى اعتقاد وجوبها لآل البيت وجوباً دينيًّا وانفردوا بمذاهب خاصة كلها ترمي الى الدين وبالدين. وكان في غضون ذلك ما كان من الفتن التي انهكت قوى المسلمين وصبغت بدمائهم اديم الارض باسم الدين. والدولة الاسلامية واقفة بين كل هذه الفتن والشقاق والتحزب والافتراق في مركز واحد ومتجهة الى وجهة واحدة لم يطرأ على صبغتها تغيير الأ بتحولها من الشورى الى الاستبداد مع ان المعهود في الدول التي تنتابها الفتن وتقوم فيها الاحزاب ان ينتاب صبغتها التغيير وتتقلب اشكالها بتقلب الزمان وقيام الفتن بين الاحزاب السياسية في كل زمان

هذا الاجمال ينبئك كيف استحكم داء الضعف في الامة الاسلامية مع انهُ عارض قد كان في الامكان تلافيهِ قبل ان يستحيل الى جمود اذهل الامة لهذا العهد عما يحيط بها في هذا الوجود وظهر اثرهُ حتى على اعمال المسلمين واخلاقهم وعقائدهم وعوائدهم بحيث صاروا لا يقبلون اي جديد الأ باسم الدين ويرفضون كل امر نافع اذا لم يعرف عن اسلافهم الميتين حتى سبقتهم في مضمار الحياة كل الامم المسيحية والوثنية وسادت على دولهم اضعف الدول الغربية

وهم يدافعون الخير ويأ بون مجاراة الامم لمطلق التوهم في ان مجاراة السابقين خروج عن الدين وان الاسلام والعياذ بالله قد حرَّم كل امر نافع على المسلمين الاَّ ما قال بحلهِ شيخ من الشيوخ الماضين . وهذه غاية من الهوس بالدين لم تبلغها امة في الاولين ولا الاخرين . والله يشهد ورسولهُ والملائكة والعقلاء كافة ان الاسلام بريءٌ مما يزعمون

اصلاح الازهر

الازهر اكبر المدارس واقدمها ولكنهُ دون كثير من المدارس العليا في نفعهِ لطلابهِ وفي انتفاع البلاد منهم لما كان يعتور نظامهُ من الخلل . وقد وُجهت العناية حديثاً الى اصلاح ادارتهِ واصلاح طرق التدريس فيهِ " لتحصيل جواهر العلوم الدينية في زمن محدود بطريقة مسهلة التناول والتحلي بثمرة تلك العلوم وهي محاسن الاخلاق والاعمال . وقد قسمت فيهِ العلوم الى مقاصد ووسائل والمقاصد علوم التوحيد والتفسير والحديث والفقه واصولهُ والاخلاق الدينية . والوسائل المنطق والنحو والصرف وعلوم البلاغة الثلاثة ومصطلح الحديث وضمَّ اليها الحساب والجبر . وهذه العلوم بقسميها هي التي يُلزم طالب الامتحان لشهادة العالمية بالامتحان فيها . ثم ان هناك علوماً أُخر تستوجب لمحصلها التفضيل على مَن في درجتهِ في التوظف والمرتبات وهي تاريخ الاسلام وصناعة الانشاء ومتن اللغة وآدابها وتقويم البلدان ومبادئ الهندسة" وقد كان الابتداء بهذا الاصلاح سنة ١٣١٤ فوضعت قوانينهُ وامر الجناب الخديوي بالعمل بها " وصارت مشيخة الازهر مشيخة نظامية ولم يبقَ عليها الاَّ الجد في العمل بهذه القوانين والمحافظة على ان تكون كل اعمالها مطابقة لها ومراقبة تنفيذها على الوجه الاكمل وتمتع العلماء والطلاَّب بثمراتها . ولم يكن ذلك بالامر السهل القريب المنال ولهذا كان التعب والعمل للتنفيذ فوق ما يحتمل في العادة ولكنها المقاصد القويمة تسهل الصعب وتخفف ثقل العناء وتصحح العزيمة للدأب على الاعمال "

وقد نشر الآن كتاب عن اعمال مجلس ادارة الازهر يتضمَّن البيان السابق ونتيجة العمل بالنظام الجديد والتوسع فيهِ . ومما جاء في هذا الكتاب ويحسن نقلهُ عنهُ تعميماً لفائدتهِ وصف دار الكتب التي انشئت حديثاً في الازهر ووصف اصلاح التعليم . وهاك ما جاء فيهِ عن دار الكتب

" ان المبلغ الذي قرر للمكتبة الازهرية وهو ٤٦٤ جنيهاً قد خصص لمرتبات الامين والمغير والكاتب والخادم (الفراش) ولاربعة من العمال الموقتين انتخبوا من العلماء ليعملوا جميعاً في جمع الكتب وترتيبها تحت ملاحظة الامين ومنهُ مبلغ ١٥٠ جنيهاً لشراء كتب جديدة

ولتكميل بعض النواقص من الكتب الموجودة ولتجليد ما يوجد منها بلا جلود . ثم زيدت هذه المرتبات سنة بعد سنة بحسب مقتضيات الاحوال كما زيد في عدد العمال ووضع مجلس الادارة لهذه المكتبة قانونًا عامًّا سار العمل فيها عليهِ الى الآن سيرًا حسنًا . ولاجل ان يعرف ما هي هذه المكتبة واين كانت كتبها وكيف كان حالها وما هو شأنها اليوم نذكر طرفًا من خبرها ليعلم مقدار العناية في جمع تلك الكتب وترتيبها على هذا النظام التي هي عليهِ الآن

كان في الازهر خزائن كتب وضعت في بعض الاروقة والحارات وبعضها في المساجد القريبة كجامع الفاكهاني وجامع العيني ونيط حفظها جميعها باشخاص يقال لهم المغيرون فتصرفوا فيها تصرفًا سيئًا للغاية صحَّ معهُ اطلاق اسم المغيرين عليهم لانهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها ومزقوا جلودها واوراقها وتركوا ما لا عناية لهم بهِ منها في التراب يأكلهُ العث ويبليهِ التراب وهذا غير ما تصرفوا فيهِ تصرف الملاَّك وصار بايدي باعة الكتب يباع على نفاستهِ بالثمن البخس ولم يبالِ المتصرف الاول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التي تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة ولا لينتفع بها لعدم امكان الانتفاع

ولما جاءت للمجلس فكرة جمع هذه الكتب في مكان واحد واصلاح ما افسدتهُ منها هذه الايدي وتسهيل الانتفاع بها اختار المكان المعروف في الازهر برواق الابتغاوية وكتب لديوان الاوقاف في سنة ١٣١٤ فارسل من اخذ المقايسة لاصلاحهِ وانشاء ما يلزم لهُ من الخزائن التي توضع فيها الكتب ثم عرض الامر على الجناب العالي فاقرهُ مستحسنًا لهُ وخرج هذا العمل من القوة الى الفعل وتهيأ المكان لما وجد لاجلهِ من وضع الكتب وحفظها فيهِ من الانتفاع بها تحت ضوابط ونظامات وشرع عمالها في انفاذ ما عهد اليهم من اول سنة ١٨٩٧ افرنكية الموافق شعبان سنة ١٣١٤ وهنالك ظهر العجب العجاب

حملت تلك الكتب من خزائنها السابق ذكرها الى ذلك المكان الجديد فكان يأتي بها اولئك المغيرون محشوة في الزكائب والمقاطف ثم يفرغونها تلالاً واكوامًا عليها خيوط العناكب وبينها الاتربة وبتخللها الجلود البالية وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع الا ما لا يكاد يذكر وجلس بجانبها اولئك الموظفون المكلفون بجمعها وترتيبها واعضاء المجلس والامين يراقبون عملهم ويرشدونهم الى الطريق الاقوم فعملوا وكدوا واستخلصوا من بين هذه الدشوت والاوراق المتفرقة كتبًا معتبرة في كل الفنون وكان معهم مندوب من ديوان الاوقاف وموظف آخر نيط بهِ تقويم كل كتاب وجد او جمع بالثمن اللائق بهِ وقيدت في دفاتر باعداد متسلسلة واستلمها الامين باثمانها المقدرة لها ثم اشتغلوا بعد ذلك في توحيد الفنون وقرروا لكل فن موضعًا

مخصوصاً من المكان وقد استغرق عملهم هذا ازماناً طوالاً كانت كلها اتعاباً ومشاق . واني لاعرف كتباً كثيرة مما تجدهُ الآن كاملاً كان الكتاب الواحد منها بعضهُ في خزانة فلان وبعضهُ الآخر في خزانة فلان وباقيهِ في خزانة فلان ولم تجتمع اجزاؤُهُ بعضها على بعض الأَّ بطريق المصادفة الحسنة واعرف كذلك ان بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود وجد في دشت كان في خزائن الجامع العيني ولم يعبأ بهِ احد ممن تولوا تغييرها للطلاب ولم يعنَ بفرز الدشت لتوجد تلك النفائس بين اوراقهِ الأَّ بعد ان كان صدر امر احد مشايخ الجامع باحراقهِ وتدارك الامر من يعرف قيمة العلم ولا يبالي بالتعب في المحافظة عليهِ . وقد رأيت بعيني كثيراً من المصاحف الشريفة وهي بين الاتربة مع انها من اجود المصاحف خطاً وورقاً وفيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد في سواها وغير ذلك كثير فنكتفي بما ذكرناهُ فما الغرض الأَّ بيان حالها قبل جمعها وفي هذا القدر ما يكفي لذلك

بعد ان عرف ان في الازهر دار كتب اقبل عليها اهل البر فاعانوها بهدايا من الكتب النفيسة واهم هدية قدمت اليها هي هدية كتب المرحوم سليمان باشا اباظه فان ورثتهُ حياهم الله لثقتهم ببعض اعضاء المجلس سمعوا قولهُ وقبلوا اشارتهُ وقدموا كتب ابيهم الى دار الكتب الازهرية مشترطين ان تجعل لها خزائن مخصوصة في مكان مخصوص فكان كذلك وجاءت تلك الكتب كالعروس تجلى لصاحبها ليلة الزفاف لان الباشا رحمهُ الله كان ممن يتعشق الكتب ويحب فنون الآداب العربية والتاريخ وهي في كتبهِ شيءٌ كثير فكان ورثتهُ قدوة لغيرهم من الناس وبذلك كلهِ تكونت مكتبة جميلة منتظمة لا ينقصها الآن سوى الفهرس العام والعمل فيهِ سائر سيراً حسناً وان كان بطيئاً ولعلهُ يتم فيما بعد ان شاء الله تعالى

ولم يكتفِ المجلس بهذا القدر بل رجع الى الاروقة الشهيرة في الازهر وهي اروقة الترك والشوام والصعايدة والمغاربة وجعل الكتب التي بقيت فيها تحت مراقبة امين المكتبة الازهرية وطلب من ديوان الاوقاف مبالغ اخرى لترتيب كتبها وتنسيقها فاجيب الطلب وتعينت العمال ورتبوا الكتب في تلك الاروقة على الطريقة التي رتبت عليها المكتبة ثم وضع الكثير منها بعد جمعها وترتيبها في خزائن جديدة صنعها ديوان الاوقاف على نفقتهِ بالاروقة المذكورة تحت مراقبة هذا الامين ولا تزال العناية موجهة الى تجديد خزائن لباقيها

ولقد تفضل الجناب العالي بزيارة دار الكتب الازهرية عدة مرات وما من مرة الأَّ واظهر سرورهُ مما رآهُ فيها من حسن الوضع والنظام وهي الآن مطرح انظار السائحين ومحط رحال المطالعين ومكان النفع العام للعلماء والطالبين

وقد زيد في مبلغ المائة والخمسين جنيها المخصصة لشراء الكتب واصلاحها وتجليدها مائة جنيه في كل عام فاصلح وجلد كثير مما كان من الكتب بلا جلود واشتريت كتب كثيرة من كثير من التركات حتى ضاق بها المكان على سعتهِ فاضطر المجلس الى اخذ مكان آخر من الازهر اصلحهُ ديوان الاوقاف وعمل فيهِ ما عمل في الاول وامتلأت خزائنهُ ايضاً بمعتبرات الكتب ونفائسها مما يتجدد شراؤهُ كل يوم

ولم يصل المجلس الى هذا الحد من صيانة تلك الكتب وجعلها بمأمن من الضياع والتلف الّا بعد عناء شديد وجهد جهيد في مقاومة تلك الافكار العتيقة ومطاردة تلك الاطماع التي كان يقصد منها بيع تلك البقية بذلك الثمن البخس . واني اعرف كثيراً من اهل الفضل والدين ارجعوا الكتب التي كانوا اشتروها من اولئك الباعة الادنياء الى مكتبة الازهر لعلمهم انها صارت دار الحفظ والصيانة لهذه الكتب الموقوفة على المتعلمين اما بعض اهل الشهرة من كبار العلماء وصالحيهم فقد جيء من بيوتهم بالكتب في الزنابيل والغرائر لا يعرف لكتاب منها اول ولا آخر

وما جاء فيهِ عن اصلاح التعليم

وفي اول السنة الدراسية من سنة ١٣١٤ الداخلة في سنة ١٣١٥ شرع مجلس ادارة الازهر في تنفيذ بعض مواد القانون فبدأ بالمادة الثانية والعشرين لانها اساس ترقي التعليم وهي القاضية على الحواشي والتقارير في الاربع السنين الاولى من سني التعليم فحدد الكتب التي تقرأ فيها بدون تلك الحواشي وتلك التقارير التي تحول بين الطالب وبين الفهم وتشوش عليهِ موضوعات العلوم فاصدر قراراً في ٦ شوال سنة ١٣١٤ بان الكتب التي تقرأ في السنين الاربع الممنوع فيها الحواشي والتقارير تكون في علم النحو من الاجرومية الى ابن عقيل وفي فقه الحنفية من مراقي الفلاح الى العيني وفي فقه المالكية من ابن تركي الى الشرح الصغير وفي فقه الشافعية من ابن قاسم الى التحرير بدخول الغاية في الجميع وحتم في القرار منع قراءة شرح الكفراوي على الاجرومية لانهُ اضر الشروح بالطلبة المبتدئين ثم الزم الاساتذة بان يبدأوا دروس الفقه في كل سنة من السنين الاربع برسالة في علم التوحيد قاصرة على سرد العقائد ومجردة عن البراهين الكلامية وان يختتموا دروس الفقه في كل سنة منها برسالة صغيرة في علم الاخلاق حتى يشب الطالب متحلياً بالآداب الشرعية وكذلك حتم على الاساتذة ان تكون قراءة الكتب المعتاد قراءتها في ايام العطلة الدراسية مجردة عن الحواشي والتقارير

وقد لاحظ المجلس اثناء تلك السنة الدراسية ان بعض الطلبة وكثيراً من المشايخ قد

تعودوا ان يطيلوا مدة البطالة الرسمية فاصدر قراراً في آخرها ليكون عليهِ العمل من اول السنة التالية الدراسية (١٣١٥ الداخلة في سنة ١٣١٦) ابان فيهِ مدد المسامحات القانونية وحددها تحديداً في غاية الوضوح حتى لا يحتجّ طالب ولا يتأول عامل وحتم على كل استاذ وكل طالب ان لا يخلي من ايام العمل القانوني يوماً واحداً من القاء الدروس او تلقيها وقرر العقوبات على كل من يخالف بقطع الجرايات فيما ليس فيهِ شرط واقف وبقطع المرتبات النظامية التي رتبت بمقتضى القانون فيما لا يسمح شرطهم بقطع الجراية فيهِ

وكذلك لاحظ المجلس في اثناء القاء الدروس في تلك السنة الدراسية ان في الازهر عادة مستحكمة وهي اهمال الاستاذ للطالب في آدابهِ وفي مواظبتهِ على الحضور في الدروس واهمال الطالب لانهُ لم يتعود من مشايخهِ المراقبة عليهِ فاهمل في احترامهِ لهم وتباطأ في اعمالهِ ولم يبالِ بحقوق اخوانهِ الطلبة ففسدت اخلاق الطلاب وضاعت آدابهم الدينية وتلاشت عوائد حسن المعاشرة بينهم فاصدر المجلس قراراً في ٢٩ شعبان سنة ١٣١٤ ليكون دواء لتلك الادواء بيَّن فيهِ ما على الطالب من الحقوق وما على الاستاذ من الواجبات فحتم على الطالب ان لا يتلقى اقل من ثلاثة دروس في اليوم وان لا يشتغل اثناء الدرس بغيرهِ ولا يكلم فيهِ غير استاذهِ وان لا يسأل الطالب استاذهُ في الدرس اكثر من ثلاث مرات في الموضوع الواحد فان بقيت لديهِ شبهة كلمهُ فيها بعد الفراغ من الدرس . وان تكون سيرتهُ الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين وان يحترم استاذهُ في الدرس فلا يرفع صوتهُ عليهِ ولا يجلس بين يديهِ بهيئة تنافي الآداب وان يعامل جليسهُ في الدرس بالحسنى فلا يؤذيهُ بالقول ولا بالفعل وان يستمر في تلقي الكتاب الذي ابتدأ فيهِ على الاستاذ الذي شرع في تلقيهِ عنهُ حتى يتمهُ فاذا بدا لهُ الانتقال الى شيخ غيرهِ وجب عليهِ ان يخبر شيخ جهتهِ المنتسب هو اليها . واذا شرع الطالب في تلقي كتاب وجب عليهِ اكمالهُ فلا ينتقل الى كتاب ارقى منهُ قبل ان يتمهُ وكل هذه الآداب التي قررت للطالب كانت العادة جارية بين الطلبة بمخالفتها وضررها بالتعلم والاخلاق لا مرية فيهِ

واما الاستاذ فقد حتم عليهِ في ذلك القرار ان يكون القدوة الحسنة للطلبة في حسن الاخلاق والسيرة الشخصية وان يتعهد الطلبة الذين يحضرون دروسهُ بنفسهِ ان كان مبصراً او بمن يستنيبهُ ان كان ضريراً ليعرف من يتغيب منهم عن الدرس فيخبر عنهُ شيخ جهتهِ المنتسب هو اليها ليخبر شيخ الجامع بانقطاعهِ عن الدروس وان يراقب حال الطلبة اثناء الدرس حتى لا يأتي احدهم بما نهي عنهُ فاذا خالف نبههُ الشيخ اول مرة فاذا عاد زجرهُ فاذا عاد ابعدهُ

عن الدرس واخبر شيخ جهتهِ ليخبر شيخ الجامع ليعاقبهُ بما يراهُ . وان يجتنب الاستاذ حتماً تلك العادة القبيحة عادة سب الطلبة وشتمهم الشتم القبيح بسبب الآباء والامهات وضربهم بالعصي والنعال وان يوجه ذهن الطالب الى تعقل المسائل وفهم المعاني من اقرب الوجوه متجنباً الاحتمالات البعيدة وتكلف التعاسيف . وان يحضّر الاستاذ درسهُ قبل إلقائهِ فيراجع ما يحتاج لمراجعتهِ من الكتب لتصحيح الفاظ الشعر التي تذكر في الشواهد حتى لا يضيع وقتهُ في التفاهم مع الطلاب وان كان ذلك لا يمنعهُ من قبول رأي التلميذ ان كان صواباً وان لا يأتي الاستاذ للطالبين في اثناء الدرس بما يشوش عليهم الفهم فلا يغرب بالاكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بتلك الاحتمالات المضيعة للاوقات وان لا يخلط مسائل علم بمسائل علم آخر الأ مسألة جاءت عرضاً وتوقف عليها فهم المقام فيتكلم عنها الاستاذ بعبارة قصيرة على قدر ما تدعو اليهِ الضرورة في الافهام . وجعلت مدة الدرس بحيث لا تنقص عن ساعة ولا تزيد عن ساعتين

وكل هذه التكاليف التي نيطت بالاستاذ كانت العادة جارية بعدم ملاحظتها وكان همُّ معظم المشايخ الكبار هو التشدق بالاحتمالات البعيدة وتضييع الاذهان تفتيها كما يزعمون ولا يبالون أفهم الطالب ام اشكل عليهِ الامر اصحت القاعدة ام ضاعت هباء . أعرف شيخاً من كبار المالكية قد شهر بالتقدم في السن كان يقرأ درساً في علم المنطق ايام المسامحات من كتاب الخبيصي ويحضر درسهُ هذا كل الباقين من المجاورين في الازهر تقريباً . وعرض في درسهِ ان حاشيتهُ اعترضت على الشرح فاخذ الشيخ يدفع الاعتراض بالتمحلات والاحتمالات النحوية حتى استقرَّ رأيهُ على تصحيح كلام الشرح فقال لهُ بعض الطلبة وانا اعرفهُ ايضاً "يا مولانا انهُ يترتب على هذا التصحيح تغيير حكم القاعدة المنطقية فبعد ان تكون الكلية تنعكس جزئية مثلاً يصير عكسها كلية ولم يقل بهذا المنطقيون " فاجابهُ الاستاذ : ليس في هذا من ضرر يا كيت وكيت اذا صح الاعراب واندفع الاعتراض فما علينا من القاعدة الاصلية وما يطرأ عليها من البقاء او الانقلاب : واعرف شيخاً آخر من كبار الشافعية قرأ في درسهِ لعدم مراجعة الكتب قبل القاء الدرس البيت المشهور (كادت نفوس القوم عند الفلصمة) بالفاء بدل الغين فقال لهُ احد الطلاب وانا اعرفهُ ايضاً انها الغلصمة بالغين لا بالفاء فسبهُ وشتمهُ واهانهُ كثيراً واصر على انها بالفاء . كل هذا قد لاحظهُ المجلس ووضع لهُ ذلك القرار تخفيفاً لتلك الاضرار ومراعاة لمصلحة المعلمين والمتعلمين بما يقضي بهِ الشرع الشريف ويطالبنا بهِ الدين القويم . انتهى

وما دام روساء الامة وقادة الافكار قد انتبهوا للازهر واهتموا باصلاحه فلا تتعذر عليهم طرق الاصلاح فيجنى منهُ النفع الذي يجب ان يجنى من مدرسة كبيرة تضمُّ الوفاً من الطلاب

تاريخ دول العرب والاسلام

يعجبنا من نفر من الادباء انهم يقضون ساعات الفراغ من اعمالهم المختلفة في تأليف كتاب او ترجمة رواية او كتابة مقالة كأنهم يحسبون الوقت كنزاً اثمن من ان يضاع باللهو والجلوس في القهاوي . ومن هذا النفر حضرة محمد بك طلعت حرب مدير قلم القضايا في الدائرة السنية فانهُ الَّف كتاباً نفيساً في تاريخ دول العرب والاسلام طبعهُ اول مرةٍ فراج ونفدت نسخهُ وطبعهُ الآن طبعةً ثانية بعد ان نقحهُ وزاد عليهِ زيادات كثيرة مفيدة . وقد صدر الجزء الاول منهُ الآن وهو يبتدئ بكلام تمهيدي في جغرافية بلاد العرب واشهر من ساح فيها من الافرنج وعلى ذلك حواش مصدرها الجرائد الفرنسويَّة. ولو صبر المؤلف الى الآن وطالع ما تقولهُ الجرائد الفرنسويَّة لرأى ان منهاجها قد تغيَّر كثيراً لان اكثر كتَّاب الصحف الاوربية لا يهمهم الاَّ مصالح قومهم فيدورون مع الاهواء كشراع السفينة . وقد ذكر في هذا التمهيد الاقوال المتباينة في مساحة بلاد العرب وعدد سكانها وقال ان سبب هذا الاختلاف ليس بالامر الغريب لتعلقهِ ببلاد قلّما دخلها اوربي او عالم اجنبي لشدَّة حرارتها ووعورة مسالكها وجهل لغات اهلها وعوائدهم وتمسكهم بدينهم وشدة ابائهم دخول الاجنبي بلادهم" . اما من حيث شدة الحرارة ووعورة المسالك وجهل اللغات والعوائد فهذه كلها لا تمنع رواد افريقية من ان يرودوا بلاد العرب لاسيما وان داخلها جبال واودية وسهول ونجود من اجمل واخصب ما خلق الله ولو كانت في ايدي اناس غير اهلها لكانت جنة الله في ارضهِ . واما اباء اهلها فممدوح ولكن يجب ان يقترن بعمل ما يغني عن الاجانب وهنا محل النظر والعبرة . والله يورث الارض عبادهُ الصالحين

ويلي ذلك كلام مسهب عن السياح الاوربيين الذين دخلوا بلاد العرب من عهد نيبهر سنة ١٧٦٢ الى الآن وعن احوال البلاد السياسية في الزمن الحاضر وبذلك ختم المؤلف التمهيد وشرع في فصول الكتاب فتكلم على العرب قبل الاسلام جارياً مجرى مؤرخيهم وذكر من اخلاقهم واطوارهم ما يستحسن وما يستقبح وبين تأثير ذلك في احوالهم الاجتماعية اي ان حال البدو الآن وتأخرهم عن جميع الامم المتاخمة لهم ناتجان عن احوالهم الاجتماعية فلو كانت احوالهم صالحة مثل احوال اهالي سويسرا مثلاً او مثل احوال اهالي فرنسا لوجب ان يكونوا

مرتقين مثل اهالي سويسرا واهالي فرنسا والاَّ فطينتهم دون طينة اولئك وهذا لا يسلم بهِ حضرة المؤلف ولا نسلم بهِ نحن . فما هي الاحوال الاجتماعية التي ابعدت النجاح عن امة فيها "كثير من الصفات التي تبرهن على ميلها للسعادة والارتقاء الى درجة عظيمة ومن تلك الصفات التي امتازت بها عن سائر الامم علو الهمة وشرف النفس وحفظ حرمة الجوار والمحاماة عن المظلوم والوفاء بالوعد وصدق العهد والجرأة والاقدام وحب عظائم الامور والكرم والجود"

وقد ابان المؤلف بُعَيْد ذلك" انهُ لم يكن في العرب طبيعة الانتظام فان ارواحهم الوطنية منيت من فطرتهم بسوس قبيح ابقاها مأكلاً للشقاق ومرتعاً للانقسام ... فكان دأبهم التقاطع وغزو بعضهم بعضاً قبل تألفهم والانقسام والخروج عن طاعة الدولة الحاكمة بعده فدلوا بذلك على انهم لا يحسنون سياسة الملك وان احسنوا تاسيسهُ ومن الاسف ان قد سرى هذا الداء في جميع دول الاسلام بعد ذلك فنخر عظام المسلمين حتى تداعت كل الاعضاء او كادت"

والكلام في هذا الفصل والفصول التالية بعضهُ منقول عن كتب العرب وبعضهُ عن كتب الافرنج الذين ساحوا في بلاد العرب او كتبوا عنهم وبعضهُ تطبيق واستنتاج من المؤلف . والبحث في اكثر المواضيع موجز جدًّا فالبحث في خرافات العرب ومعتقداتهم ملأ صفحتين وبعض صفحة مع ان الذي كتب في هذا الموضوع في المقتطف ملأ بهِ اكثر من عشرين صفحة . والكتاب كلهُ كما قال فيهِ حضرة القاضي الفاضل حفني بك ناصف جمع في اوراق كثيرة ما تفرَّق في اسفار جليلة واقتصر على اللباب وانتصر للصواب

والفصل الثاني من الكتاب في العرب البائدة كقوم عاد وثمود وطسم وجديس وهذا البحث يقتضي تمحيصاً كثيراً . والثالث في العرب المستعربة وهذا ايضاً يقتضي البحث الدقيق لان الشك اول مراتب اليقين وكل ما قيل في كتب الاقدمين عن عاد وثمود وقحطان وعدنان وابرهيم واسمعيل امسى الآن في معرض الشك عند العلماء المحققين وكذا القول عن العرب المستعربة في الفصل الرابع

اما الكلام على العرب بعد الاسلام فلهُ باب آخر في فصلين الاول في تاريخ النبي من حين اظهر دعوتهُ الى حين وفاتهِ والثاني في الاسلام وانتشارهِ بسرعة

وقد طبع الكتاب على ورق جيد بقطع صغير وهذا هو الجزء الاول وسيليهِ ثلاثة اجزاء الاول ينتهي بسقوط بغداد والثاني في الدول التي انشقت من بني عباس ودول الاسلام في الاندلس والثالث في تاريخ الدولة العثمانية فعسى ان يوفق الى اتمامها على ما يريد خدمة للقراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد بيتية

طرد النمل على انواعهِ من البيت : اذا اردت طرد النمل الاحمر من بيتك فازرع النبات المعروف بعاشق الشجر او نوع آخر من النبات الذي اذا نما فرش الارض كاللباد ويدعى بالانكليزيَّة (winter-green) ولطرد النمل الاسود ازرع نبات الافسنتين . واما لوقاية السكر من الحشرات فأتِ بالطباشير وارسم خطًّا واضحًا حول فم الوعاء الذي فيهِ السكر فبهذا تبعد النمل عنهُ لا محالة

الدوخة المسببة عن ازدياد المرارة او غير ذلك : الاحتياط من هذا المرض يكون بالطريقة الآتية . اولاً اعصر ليمونةً في نصف كاس ماء بارد وحرك المزيج هنيهةً ثم اخلط معهُ قليلاً من الصودا بعد ان تغلى على النار وحركهُ ايضًا واشربهُ وهو على تلك الحالة . هذا الدواء يستعمل ايضًا لوجع الرأس يشربهُ المتألم عند ابتداء الوجع

لسع الحشرات ولذعها : يغسل محل اللسع او اللذع حالاً بماء النشادر

عضة الكلاب الكلبة : اكوِ الجرح بحجر جهنم ثم دع المجروح يشرب مقدارًا كافيًا من الويسكي او غيرهِ من المسكرات حتى تنومهُ حالاً

الاحذية : لمنع دخول الماء في جلد الاحذية خذ قليلاً من زيت الخروع وادهن الجلد بقطعة من القماش

تنظيف القناني (الزجاجات) : تغسل القنينة بالماء السخن وقليل من الفحم المدقوق

الفحم : يحفظ الفحم بوضعهِ في الزوايا المعتمة والرطبة من البيت

منع لهيب النار من التصاعد بقوة شديدة في المداخن او الوجاقات : ارمِ في النار قليلاً من الملح او حفنة من الكبريت

تنظيف زجاجة القنديل : اذا اخذت نقطة او نقطتين من الكيروسين وفركت الزجاجة بها تراها بعد برهة تلمع كالبلور

الكي والحرق : اعجن قليلاً من كربونات الصودا بالماء وضع المعجون حالاً على المحل المحروق ففي الحال يبطل الوجع ويقي المحروق الالتهاب

وجع الصدر المسبب عن البرد : اغلِ الماء او الزيت وغطس فيهِ قطعة من الفلانلا ثم ضعها على صدرك قبل النوم

ازالة اثر الحامض عن الثياب : ملح النشادر خير دواء لذلك

السعال : اغلِ اوقية من بزر الكتان في ١٥٠ درهماً من الماء ثم صفها وامزجها بقليل من العسل واوقية سكر نبات وعصير ثلاث ليمونات ثم اغلِ المزيج واسق المصاب منهُ

الجرح بالسكين وغيرها : لتوقيف جريان الدم نقط نقطة او نقطتين من الكرياسوت على الجرح يقف الدم حالاً

التطهير من العدوى عند ازالة العفونة : خذ زجاجة من كلوريد الكلس وصب قليلاً في المحلات القذرة المسببة العفونة . والاحسن ان تداوم هذا كل اسبوع

طرد الذباب والبعوض : خذ ٢٠ نقطة من الحامض الكربوليك وبخرهُ في الغرفة التي تنوي طرد الذباب منها واذا حرقت قطعة من الكافور تطرد البعوض

البراويز المذهبة : لصقلها واعادة لونها امسحها باسفنجة قد صُبَّ عليها قليل من التربنتينا

القماش الملوث بالشحم : لازالة هذه البقع افركها اولاً بالتربنتينا ثم ضع قطعة من الورق النشاف تحت البقعة وقطعة أُخرى فوقها واضغط عليها فحينئذٍ يشرب الورق الشحم وتزول البقعة

تنظيف الشعر : ايتِ باوقية من كربونات الصودامع ربع اوقية من ملح الطرطير و ١٥٠ درهماً من الماء الصافي وامزجها معاً ثم اغسل رأسك جيداً

ازالة الصدإ من الاقمشة البيضاء : امسح البقع بعصير الليمون او الملح المذوب وضع القماش بعدئذٍ في الشمس وكرر هذا العمل حتى يزول الصدأ او ضع القماش الملوث في كيس من الشاش واغلهِ

العث : لوقاية الاصواف وغيرها من الاقمشة القابلة العث . اولاً قبل وضع الثياب في الخزائن اضربها بعصاً ضرباً خفيفاً ونظفها من كل الاوساخ والغبار ثم ضعها في كيسٍ من

ورق وخط فم الكيس بكل اتقان

ازالة الدهان عن الاقمشة : الكلوروفورم خير علاج لذلك

دهن الوجاق : ادهنهُ بالتربنتينا او بالقرنيش الاسود كل ثلاثة اشهر مرة

طرد الجرذان : ضع في المحل الذي تكثر الجرذان فيهِ قليلاً من كلوريد الكلس فتهرب من رائحتهِ

الآنية الفضية : يمكنك ان تبقي الانية الفضية تلمع دائمًا اذا وضعتها في كيس مع قطعة من الكافور

اخراج اللولب او البرغي : احمِ مغزلاً من الحديد وضعهُ حالاً على راس البرغي ثم اخرج البرغي وهو حامٍ

ازالة رائحة البصل : افرك يديك بورقة من الكرفس فتزول الرائحة حالاً

ازالة الحبر : اغسل اولاً ما اردت تنظيفهُ بالماء ثم ضع عليهِ الحامض الاكساليك واذا تغير فاغسلهُ بماء النشادر

ازالة اقذار البيض عن الملاعق : امسح الملاعق جيداً بالملح المدقوق

ازالة وسخ الاثمار الحامضة عن اليدين : اغسل اليدين اولاً بالماء ثم نشفهما قليلاً واشعل عوداً من الكبريت وضع يديك على اللهيب ثم اغسلهما مرة ثانية فيزول كل قذر او افرك يديك بقليل من الملح الناعم ثم اغسلهما بعصير ليمونة واخيرًا بالماء

النشا : بعض الاحيان يحمض النشاء بعد غليهِ فلمنع هذا ضع معهُ قليلاً من كبريتات النحاس (الشب الازرق)

غسل الثياب : اذا وضعت ثلاثة ملاعق كبيرة ملآنة من الكيروسين في الماء وغليت الثياب فيهِ هونت عليك تنظيفها

بيروت عزيز سليم كريديان

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

الرجوع الى الحق

الى منشئي المقتطف الفاضلين

يعجبني والحق يقال قول المقتطف في صدر باب المناظرة (اذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم) وعليهِ جئتكم بهذه العجالة تنويهاً بشأْن العالم الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات الذي اعترف ضمناً بغلطهِ فاصلحهُ بنفسهِ وذلك فيما كتبهُ عن الجذام في رسالتهِ المدرجة في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين من المقتطف وجه ٢٨٦ حيث قال وهو (اي الجذام) من العلل التي تزمن وعدْواهُ معتقد بها دائماً وقال ايضاً ما نصهُ بالحرف الواحد وقد توفرت الادلة على ان هذا الداء معدٍ وعلى انهُ يمكن استئصالهُ بالوسائل الصحية الخ . قال ذلك الآن بعد قولهِ في كتابهِ المسمَّى حفظ الصحة وتدبير المرض المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ وجه ١٦٧ ما نصهُ وعندي انهُ (اي الجذام) غير معدٍ ولو جاء في الحديث فرَّ من المجذوم فرارك من الافعى . فنثني على هذا الفاضل لرجوعهِ عن الغلط بعد خمس وعشرين سنة لما تبيَّن لهُ الحق وهذا يوافق ما جاء في المقتطف جزء ١١ مجلد ٢٢ وجه ٨٢٤ وهو بنصهِ " فانتقض القول بانهُ مرض وراثي وثبت القول القديم وهو انهُ مرض معدٍ ينقل بالدعوى " فالرجاء نشر رسالتي هذه افادةً للقراء ولكم الفضل

دمشق احد المشتركين

[المقتطف] ان المذهب الذي اتبعهُ استاذنا الدكتور ورتبات في الطبعة الاولى من كتابهِ كان المذهب المتَّبع عموماً عند علماء الطب كما رأيتم من خطبة الاستاذ وركو وهو

اشهر علماء الطب بالاجماع . ثم تغيَّر هذا المذهب العلمي باكتشاف ميكروب الجذام فاشار الدكتور ورتبات الى ذلك في الطبعة الثانية من كتابهِ المشار اليهِ التي طبعت سنة ١٨٩٣ حيث قال في الصفحة ٢٠٣ ما نصهُ "واختلفوا في هذه الايام في كونهِ (اي الجذام) معديًا والارجح انهُ غير معدٍ الاَّ على سبيل التلقيح وذلك انهم اكتشفوا في هذه العلة باشلسًا خاصًّا بها شاهدناه' في صديد المصابين فاذا كان خدش في يدي من يخدمهم فربما دخلت المادة السامَّة على هذا السبيل الى دمهم وظهر المرض فيهم". ثم ثبت ذلك فعلاً فان كاهنًا من اهل التقى كان يمرض المجذومين فاصيب بالجذام ومات بهِ

علاج لسع العقرب

حضرات الافاضل المحترمين اصحاب المقتطف الزاهر

يؤتى بقطع من كبريت العمود وتوضع على موقد فيهِ نار حتى يتصاعد دخان الكبريت ثم يوجه موضع اللسع الى هذا الدخان مدة ١٠ دقائق او اكثر فيزول الالم ويبرأ الملسوع باذن الله

كاتبه

مصر القاهرة محمد سليمان

وصف الباخرة

مخرت بنا بعد الهزيع الثاني تجري كرخٍ همَّ بالطيرانِ
بقوائمٍ في الماء تحت مناكب فوق العباب تشقهُ بسنانِ
في جوفها ترْبٌ وملء فؤادها نارٌ ويزفرُ أنفها بدخانِ
تعلو وتسفل فوق موجٍ مزبدٍ كفؤاد صبٍّ دائم الخفقانِ
موجٌ يهاجمها بقلب سميذعٍ ويعودُ عنها هاربًا كجبانِ
ينقضُّ حول جدارها متدافعًا سخطًا فتسحقهُ كبعض قناني

***

زنجيةٌ من قبل نوحٍ لونها — الليليُّ يشهد انهُ سوداني
ما حامُ جدٌّ للزنوجِ ألا ترى كيف احتوتهُ مدة الطوفانِ
نشأت بصيدُونَ القديمة أمها اما ذووها من بني كنعانِ
مملوكة منذ القديم تحكمت فيها الرياحُ تحكُّمَ السلطانِ

حتى اذا عتقوا الرقيقَ تزوَّجتْ هذا البخارَ فقادها بعنانِ

***

سارتْ تجرُّ الذيلَ ابيضَ نيرًا وكذا الحنادس ذيلها نوراني
من فوقها فلك وتحت نعالها فلكٌ وحول محيطها أُفقانِ
فكأنها في الجوّ جرمٌ سابحٌ يحكي الدراري السبعَ بالدوَرانِ
وكأنها بين العوالم عالمٌ عنها استقلَّ بحيزٍ وكيانِ
يحوي المآكلَ والمشاربَ جمةً ويعيش فيهِ الوحش كالانسانِ

***

فبها شهدنا الشمسَ حال غروبها في البحر تهبطُ نحوهُ بتوانِ
سلطانة الآفاق تجري حكمها منذ الصباح بغيرةٍ وتفانِ
قد مسها نصبٌ فاصبح وجهها عند الاصيلِ مزعفر الالوانِ
لما دنا وقتُ المبيتِ تبرقعت خجلاً وعاطفةً بأحمر قانِ
مشت الهوَينا والملالُ يزيلها عن دَست عزتها الرفيع الشانِ
حتى اذا بلغت حمى محبوبها غاصت بمهدِ ازرق كتاني
وهناك غشَّاها دثارُ اشعةٍ بدريةٍ فتواصل القمرانِ

***

فتلصَّصتْ زُهرُ النجومِ عليهما كالغيدِ تشرفُ من كوى ايوانِ
نظرتْ فهيجها الغرامُ وشاقها حتى غدتْ كالطافحِ النشوانِ
فتدحرجتْ وهوتْ يدافع بعضها بعضًا فصارتْ في أثيرٍ ثانِ
اشرفْ على ماء الخليج يريكها غرقى تلوحُ مثالثًا ومثاني

***

ان كان ضم البحر اجرامَ السما مالي ارى منها النجوم تراني
أفما ترى الاكاليلَ يعلو جبهةً فوق البطين وتحتهُ الشرطانِ
ومناكب الجوزاء يثقل عنقها عقدُ الثريَّا الساطع اللمعانِ
فالافقُ أفقٌ والنجومُ ثوابتٌ اما الظلالُ تلوح في الخلجانِ

سليم عنحوري

باب الزراعة

تطعيم الاشجار

ذكرنا في الجزء الماضي بعض طرق التطعيم ومرادنا ان نذكر الآن ثلاث طرق اخرى وهي الطريقة الاسفينية والطريقة السرجية والطريقة المزلوفية. اما الطريقة الاسفينية فمرسومة فوق الرقم ٥ وهي ان يبرى المطعوم من تحت البرعم حتى يصير كالاسفين ويقطع الغصن الذي يراد تطعيمهُ قطعاً فرضياً حتى يدخل الاسفين فيهِ فيملأ فرضهُ كما ترى فوق الرقم ٥ ثم يربط بقشرة او بخرقة

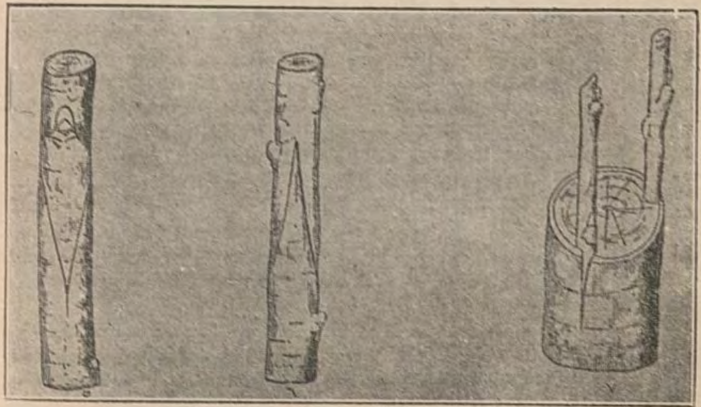

والطريقة السرجية عكس الطريقة الاسفينية وهي ان يبرى الغصن الذي يراد تطعيمهُ كالاسفين ويفرض الطعم حتى يركب على الاسفين ويركَّب عليهِ كما ترى فوق الرقم ٦ ويربط الجزءان معاً

والطريقة المزلوفية اكثر انتشاراً من غيرها وهي شائعة في تطعيم الليمون والزيتون وذلك بان يقطع ساق الغرس بمنشار ويسوَّى اعلى القطع بسكين ماضية وتقطع مزاليف من الشجرة التي يؤْخذ الطعم منها وتجعل اطرافها كالاسافين وتدخل بين القشر والخشب كما ترى فوق الرقم ٧ ويسهل ذلك بان تصنع مزلوفاً من الخشب الصلب مثل الطعم تماماً وتدقهُ بين القشر والخشب حيث تريد ان تضع الطعم حتى تجعل لهُ مكاناً هناك ثم تنزعهُ وتضع الطعم مكانهُ وتلف الخرَق والطين حول المطعوم

الندوة العسلية

لا تزال الندوة العسلية شغلاً شاغلاً للحكومة لانها تخشى ان تصيب القطن فتتلف جانباً كبيرًا منهُ كما حدث في العام الماضي فانها وقعت في كثير من اطيان البحيرة فاتلفتها وكنت ترى الطين منها واشجار القطن فيهِ مسودة الورق يابسةً لا لوز فيها او فيها قليل من اللوز الدميم . وما لم يتلف كلهُ جاء قطنهُ قليلاً دنيًا في رتبتهِ بيع قنطارهُ بمئتين وخمسين غرشاً حينما كان القنطار من غيرهِ يباع بثلثمئة او بثلثمئة وخمسين غرشاً

وقد نشرت نظارة الداخلية بالامس النشرة التالية

بالنسبة للمذكرة الصادرة من النظارة في اول يوليو سنة ١٩٠٥ بخصوص ندوة العسل قد علم انهُ في بعض الجهات لم يدرك الزراع ان الواجب افراغ كل جهد لابادة البعوض الصغير الاخضر المسمى (Aphis) بمجال ظهورهِ (وهو المعروف عادةً بالمن)

فانهُ كما توضح بالمذكرة المشار اليها مجرد تغذي البعوض بطريق المص لا يقتل الاوراق (ولو انهُ بدون شك يضعفها) ولكنهُ يترك عليها مادة عسلية لزجة وقت تغذيهِ منها

وهذه المادة اللزجة تجلب اليها جرثومة الفطر الاسود التي تكون منتشرة في الهواء وتستقر في الاماكن التي توجد فيها تلك المادة

ويقول كثير من الزراع (وهم مصيبون) ان ندوة العسل تأتي متأخرة عن هذا الاوان ولكن يلزم ان يكون مفهومًا لدى الجميع انهُ قد ظهر لحد الآن انهُ متى جاءت الندوة لا يبقى في الامكان مقاومتها

والامر الوحيد الذي يجب اجراؤهُ هو ابادة البعوض (Aphis) حال ظهورهِ باستعمال الرشاشة اذا كانت موجودة والاَّ فيصير تنقية الاوراق واحراقها وعند اللزوم يصير قلع بعض الشجيرات واذا وجدت وريقات عليها شيء من تلك المادة اللزجة وجب ايضاً تنقيتها واحراقها حتى حين مجيء الندوة الآن او فيما بعد لا تجد شيئاً يجلبها اليهِ فتفوت بدون احداث ضرر

وجميع ما ذكر قد سبق ايضاحهُ في المذكرة السابقة ولكن حيث انهُ لا يزال يوجد التباس عند كثيرين من الزراع فيكون من الضروري جدًا اتخاذ الوسائل السريعة لايضاح الحقيقة لجميع من يهمهم ذلك

وقد شوهد البعوض (Aphis) والمادة العسلية ايضاً في جهات كثيرة وفي بعض الاماكن

التي ظهر فيها مؤخرًا ضباب كثيف في الصباح قد نزلت الندوة على الاوراق المصابة فاسودت الشجيرات وماتت

فيلزم استنهاض همم المزارعين للبحث حالاً عن البعوض والمادة العسلية لانهم اذا اهملوا ذلك لحين ظهور الندوة يكون قد فات الوقت الذي يمكن مداركة هذه الآفة فيهِ

حياة البزور

البزر الذي يؤخذ من النبات هذه السنة يزرع في السنة التالية . هذا هو الغالب المتبع وبعض البزور لا يصلح للزرع اذا مضى عليهِ اكثر من سنة ولكن اكثرها يصلح ولو مضى عليهِ اربع سنوات كبزر البطيخ والخيار . وقد يحتاج المزارع ان يعلم كم سنة تبقى البزور حية صالحة للزرع ولذلك نشرنا الجدول التالي

بزر المندباء	يمكن زرعهُ بعد	٩	سنوات	بزر السبانخ	يمكن زرعهُ بعد	٥	"
" الباذنجان	" "	٧	"	" الكوسى	" " "	٥	"
" الفول	" "	٦	"	" الطماطم	" " "	٥	"
" الخرشوف	" "	٥	"	" اللفت	" " "	٥	"
" البنجر	" "	٥	"	" الهليون	" " "	٤	"
" الكرنب	" "	٥	"	" الجزر	" " "	٤	"
" القنبيط	" "	٥	"	" البازلا	" " "	٤	"
" الخيار	" "	٥	"	" اللوبياء	" " "	٣	"
" الخس	" "	٥	"	" الذرة	" " "	سنتين	
" البطيخ	" "	٥	"	" الكراث	" " "		"
" الفجل	" "	٥	"	" البصل	" " "		"

ورق التوت وتعليف الغنم

مَن رأى الغنم المعلَّفة في جبل لبنان وكل خروف منها يزن اربعين او خمسين اقةً من اللحم والدهن وعلم ان اكثر علفها من ورق التوت مع قليل من الحبوب كالكرسنة ونحوها علم ان في ورق التوت غذاء كثيرًا . ثم ان عليهِ الاعتماد في علف المواشي زمن الخريف حينما تيبس المراعي وقبل ان تهطل الامطار ويظهر العشب . فاذا اكثر اهل الزراعة من زرع

التوت على جوانب الترع والمساقي والمصارف فمنهُ فائدة كبيرة من هذا القبيل تفي بنفقات غرسهِ والارض التي يشغلها . وقضبانهُ اصلح القضبان للوقود وخشبهُ اصلح انواع الخشب لعمل السواقي ونحوها لانهُ يقيم في الماء ولا يبلى ولحاء قضبانهِ متين يربط بهِ وتجدل منهُ الحبال . ولهُ ظلٌّ ظليل زمن الصيف عند اشتداد الحر فتقيل المواشي فيهِ وقت الظهيرة . وهذه الفوائد يجب ان ترغب اهل الزراعة في الاكثار من زرعهِ . ثم انهم اذا تعلموا كيفية تربية دود الحرير واعدوا مكاناً لتربيتهِ كان لهم منهُ فائدة أُخرى كبيرة جدًّا

الاغراس في الفدان

يضطرُّ الفلاح احياناً كثيرة ان يعرف مقدار الاغراس ٱلتي يمكن غرسها في كل فدان اذا كان البعد بين الغرس والآخر عدداً معلوماً من الاقدام ليعلم كم يشتري من التقاوي اومن الفسائل اوكم يستعمل من السباخ . وقد اثبتنا هنا الجدول التالي وهو يبتدىء بالاشجار الكبيرة التي يجعل بين الشجرة والشجرة منها اربعون قدماً وينتهي بالمزروعات التي تزرع في خطوط البعد بين الخط والآخر منها قدم فقط وبين البزرة والاخرى نصف قدم او ثلث قدم كالبصل ونحوهِ

البعد بين الاغراس				عددها في الفدان
٤٠	قدماً	في	٤٠	٢٧
٣٥	«	«	٣٥	٣٥
٣٠	«	«	٣٠	٤٨
٢٥	«	«	٢٥	٧٠
٢٠	«	«	٢٠	١٠٩
١٨	«	«	١٨	١٣٥
١٦	«	«	١٦	١٧١
١٤	«	«	١٤	٢٢٣
١٢	«	«	١٢	٣٠٢
١٠	اقدام	«	١٠	٤٣٦
٩	«	«	٩	٥٣٨
٨	«	«	٨	٦٨٠

البعد بين الاغراس	عددها في الفدان
٧ اقدام في ٧	٨٨٩
٦ " " ٦	١٢١٠
٥ " " ٥	١٧٤٢
٤ ٤ " ٤	٢١٥١
٣ " " ٣	٢٨٤٠
٣ " " ٢	٧٢٦٠
٣ " " ١ ١/٢	٩٦٨٠
٣ " " ١	١٤٥٢٠
٢ ١/٢ " " ٢	٨٧١٢
٢ ١/٢ " " ١ ١/٢	١١٦١٦
٢ ١/٢ " " ١	١٧٤٢٤
٢ " " ٢	١٠٨٩٠
٢ " " ١ ١/٢	١٤٤٦٦
٢ " " ١	٢١٩٦٩
١ ١/٢ " " ١ ١/٢	١٩٦٦٨
١ ١/٢ " " ١	٢٩٠٤٠
١ ١/٢ " " ٠ ١/٢	٥٨٠٨٠
١ " " ١	٤٣٥٦٠
١ " " ٠ ١/٢	٨٧١٢٠
١ " " ٠ ١/٣	١٣٠٦٨٠

تربية العجول

ربَّى بعضهم العجول من غير لبن مطلقًا فانهُ كان يشتري العجل وعمرهُ عشرة ايام لا غير ويطعمهُ عصيدة مصنوعةً من سبعة ارطال من مدقوق بزر الكتان الذي عصرزيتهُ وسبعة ارطال من الحنطة و ١٥ رطلاً من غلاية القش او الدريس و ٣٠ رطلاً من الماء الحار ويمزج هذه العصيدة بالماء ففي الصباح يمزج اربعة ارطال منها باربعة ارطال من الماء ويسقيها للعجل ويفعل مثل ذلك في الصباح

ولكن تربية العجول على غير اللبن وهي صغيرة غير سليمة العاقبة ومتى كبرت العجول قليلاً ودفئ الهواء تترك حول الدوار او العزبة لترعى ويجب ان تظلَّل في النهار من الشمس واذا دخل فصل الشتاء واشتدَّ البرد وهي صغيرة وجب ان تزرب في مزارب كبيرة وتُطعم الجذور ومسحوق الشعير وكسب البزر

واذا مضى الشتاء وجاء الربيع تطلق في المراعي لترعى النهار كلهُ ويحش لها البرسيم لتأكلهُ ليلاً وليس من الحكمة ان تترك لتمرح وتلعب كثيرًا اذا اريدت للذبح لان الحركة العنيفة تضعفها وتقسي لحمها ويحسن حينئذٍ ان تربى في مكان مظلم على قدر الامكان ويقدم لها كل ما تستطيع اكلهُ من العلف . واذا اريد تسمين العجل فلا بد من اطعامهِ مدقوق الشعير او مدقوق الفول مع الرضَّة (النخالة) . ومدقوق الحبوب خير من كل انواع العلف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) فرس البحر

المنتزه . بدران افندي احمد

(١) جاء في كتاب لاحد الفضلاء ما نصهُ "نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلي رحمهُ الله تعالى ما صورتهُ قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة انهُ لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الاخرى في سنة اثنتين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى ارض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر واذناها كاذان الجمال وعيناها مثل الناقة ولها ذنب طولهُ شبر ونصف طرفهُ كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنًا وفمها وشفتاها مثل الكربال ولها اربعة انياب اثنان من فوق واثنان من اسفل طولهن دون الشبر وعرض اصبعين وفي فمها ثمانية واربعون ضرسًا وسنًّا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن

ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة باربعة اظافر كاظافر الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمس عشرة قدماً وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها احمر وزفرتهُ مثل السمك وطعمهُ كطعم الجمل وغلظ جلدها اربع اصابع ما تعمل فيهِ السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقلها على جمل بعد جمل واحضروهُ الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوهُ تبناً واقاموهُ بين يديهِ

فما هي هذه السمكة وهل يوجد من نوعها الآن ام هي من الاسماك المنقرضة

ج يظهر من وصفكم ان هذا الحيوان فرس البحر الذي كان كثيرًا في النيل ولا يزال كثيرًا في اعاليهِ . ذكر عبد اللطيف البغدادي ان واحدةً كانت ببحر دمياط ضربت على المراكب تغرّقها وصار المسافر في تلك الجهة مغررًا وضربت اخرى بجهة اخرى على الجواميس والبقر وبني آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل واعمل الناس في قتلهما كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك فلم يجدِ شيئًا فاستدعي بنفرٍ من المريس صنف من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوهما فقتلوهما في اقرب وقت و بأهون سعي واتوا بهما الى القاهرة فشاهدتُهما فوجدت جلد احداها اسود اجرد ثخيناً جدًّا وطولها من راسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها وراسها . وفي مقدم فيها اثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من اسفل المتطرفة منها نصف ذراع زائد والمتوسطة انقص بقليل . وبعد الانياب اربعة صفوف من الاسنان على خطوط متساوية في طول الفم في كل صف عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان في الاعلى وصفان في الاسفل على مقابلهما واذا فغر فوها وسع شاةً كبيرة وذنبها في طول نصف ذراع زائد غليظ وطرفهُ كالاصبع اجرد كانهُ عظم شبيه بذنب الوبل وارجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها خفّ شبيهٌ بخف البعير الَّا انهُ مشقوق الاطراف باربعة اقسام وارجلها في غاية الغلظ اه . والظاهر انهُ لم يدقق النظر في اسنانها لان كل صف من اضراسها ستة لا عشرة كما قال ولكن الثلاثة المتأخرة من هذه الستة تكون مزدوجة الراس . وأمسكت فرس من افراس البحر في المنصورة في ايام محمد علي باشا جد العائلة الخديوية . فقد ذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٣٣ انهُ ظهر بالارز بالبحر الشرقي بناحية دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقي قدر الجاموس العظيم فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقيأ اكثرهُ وكان ظهورهُ من العام الماضي فيجتمع

عليهِ الكثير من اهل الناحية ويرجمونهُ بالحجارة ويضربون عليهِ بنادق الرصاص فلا يؤثر في جلدهِ ويهرب الى البحر واتفق انهُ ابتلع رجلاً الى ان اصيب في عينهِ وسقط وتكاثر عليهِ الناس وقتلوهُ وسلخوا جلدهُ وحشوهُ تبناً واتوا بهِ الى بولاق وتفرج عليهِ الباشا والناس واخبرني غير واحد ممن رآهُ انهُ اعظم من الجاموس الكبير طولهُ ثلاث عشرة قدماً ولونهُ لونهُ وجلدهُ املس ورأسهُ عظيم يشبه رأس ابن عرس وعيناهُ في اعلى دماغهِ واسع الفم وذنبهُ مثل ذنب السمك وارجلهُ غلاظ مثل ارجل الفيل في اواخرها اربع ظلوف طوال واسفلها كخف الجمل وادخلوهُ الى بيت الافرنج وانعم بهِ الباشا على بغوص الترجمان الارمني وهو يبيعهُ على الافرنج بثمن كبير

(٢) الارضاع بعد الموت

ومنهُ . وجاء في الكتاب المذكور ما يلي وهو ان كتب الى زين الدين الرحبي انهُ وجد بالقاهرة كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوماً واللبن يخرج من ابزازها من الجانب الاعلى واما الجانب الاسفل فانهُ يبس . فكيف تعللون ذلك اذا كنتم تصدقونهُ

ج اننا لا نميل الى تصديقهِ ولكن ان كان صحيحاً فلا تكون الكلبة ميتة بل تكون مصابة بحالة صرعية مثل الحالة التي ينام فيها بعض الناس اياماً كثيرة متوالية لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يتحركون لكن لم يذكر حتى الآن في ما نعلم ان هذا الداء اصاب الكلاب

(٣) اليد اليمنى

سان جوان . البرازيل الخواجه جبران قدوم . نرى اليد اليمنى اقوى من اليسرى فهل ذلك ناتج من الاستعمال او هو طبيعي فيها

ج بل هو ناتج من الاستعمال لان الذين يمرنون يدهم اليسرى تصير قوية فيهم كاليد اليمنى في الذين يمرنونها . ولكن السبب الذين يدعو الى تمرين يدهم اليمنى دون اليسرى طبيعي كما سيجيء

(٤) سبب استعمال اليمنى

ومنهُ . ما الذي اوجب استعمال اليد اليمني اكثر من اليسرى

ج السبب ان الجانب الايسر من الدماغ اقوى من الجانب الايمن وهو متسلط على اليد اليمني والجانب الايمن على اليسري فتصير اليمنى اقوى من اليسرى ولكن يتفق ان يكون الجانب الايمن من الدماغ اقوى من الجانب الايسر فتصير اليد اليسرى اقوى من اليمنى

(٥) حروف العميان

ومنهُ . من وضع حروف الطبع للعميان وفي اي زمن كان ذلك

ج يقال ان اول من حاول تعليم العميان القراءة هو المسيو برنولي الرياضي وكان ذلك

سنة ١٦٥٧ واول من حاول تعليمهم بحروف بارزة مصنوعة لذلك هو المسيو هوي الباريزي وذلك سنة ١٧٨٤ ومن ثم انشئت المدارس لتعليمهم في اماكن كثيرة في اوربا واميركا وهو اول من استنبط طبع الكتب للعميان بحروف ناتئة لكي يقرأُوها لمساً باناملهم وقد اختار رسم الحروف الافرنجية المائلة كما ترسم في الكتابة ورأَى رجل اسكتلندي اسمهُ غول كتب العميان المطبوعة في باريس فرغب في اصلاح حروفها لكي تسهل قراءتها على العميان فغير رسم الحروف وجعلها كلها مركبة من الخطوط والزوايا من غير خطوط منحنية فيها وطبع الكتاب الاول بهذه الحروف سنة ١٨٢٧ . ثم اصلح هذه الحروف وجعلها مركبة من نقط لكي يسهل على انامل العميان الشعور بها . وزارهُ رجل اميركي اسمهُ هو واقتبس منهُ استعمال الحروف ذات الزوايا واشاعها في اميركا

واستنبط رجل اسمهُ لوكاس علامات خصوصية لحروف الهجاء العلامة منها نقطة مفردة او نقطة وخط مستقيم او اعقف او خط قائم او افقي او مائل الى اليمين او الى اليسار فحرف a نقطة وحرف b نقطة وخط اعقف كالواو العربية وحرف t خط قائم وحرف s خط افقي وهلم جرًّا

واستنبط غيرهُ علامات اخرى غير هذه وغرضهم تسهيل القراءة على العميان . الى ان قام المسيو لويس بريل وهو ضرير فرنسوي فاستنبط الحروف المؤَلفة من النقط فشاعت حروفهُ حالاً لان العميان وجدوا ان الشعور بها اسهل عليهم من الشعور بغيرها فحرف a فيها نقطة واحدة وحرف b نقطتان الواحدة فوق الاخرى وحرف c نقطتان الواحدة الى جانب الاخرى وحرف d ثلاث نقط على زاوية قائمة الى اليمين وهلمَّ جرًّا ويتعلم العميان القراءة بهذه الحروف والكتابة بها ايضاً بسهولة تامة وقد وجدوا ان نسبة السهولة في قراءة الحروف المؤَلفة من النقط الى قراءة الحروف المؤَلفة من الخطوط كنسبة ٩٥ الى ٤٨ وسنزيد ذلك بسطاً في فرصة أُخرى

(٦) اسوداد الشعر بعد شيبهِ

ومنهُ . اعرف رجلاً سنهُ اكثر من اربعين شعرهُ اسود حالك وقد بدأَ الشيب فيهِ منذ عشر سنوات فشاب عشر شعرهِ بسرعة ثم توقف الشيب ولم يعد يزيد فما سبب ذلك

ج لا تزال مسأَلة الشيب من الغوامض التي لم تجل كل فروعها والامر الذي ذكرتموهُ مشاهد كثيرًا وقد شوهد اناس اعتراهم الشيب ثم عاد شعرهم اسود كما كان لا لان الشعر الابيض يعود اسود بل لان للشعرة حياة محدودة فتقع وينبت غيرها مكانها فاذا وقعت شعرة سوداء ونبت مكانها شعرة بيضاء

زاد الشيب انتشارًا واذا وقعت شعرة بيضاء ونبت مكانها شعرة سوداء قل الشعر الشائب رويدًا رويدًا . ولا بدَّ من ان يكون قد حدث ذلك للرجل الذي تشيرون اليهِ . ويقال ان بعض الادوية يقوي منابت الشعر فيصير الشعر الاسود ينبت مكان الشعر الابيض فاذا كان ذلك صحيحًا (ونحن نرجح صحتهُ) فيكون سبب الشيب الذي اعترى صاحبكم ضعفًا اصاب منابت الشعر ثم زال هذا الضعف فصار الشعر الاسود ينبت مكان الابيض

(٧) معتقد الامير بشير

مصر . الخواجه ابرهيم سروسي . احقيق ان الامير بشيرًا الشهابي كان معتنقًا الديانة المسيحية سرًّا

ج كذا يقول الذين كتبوا تاريخهُ والذين لقيناهم من معارفهِ

(٨) مستقبل بني اسرائيل

ومنهُ . يقال في الاصحاح التاسع والاربعين من سفر التكوين ان يعقوب دعا بنيهِ وقال اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم في آخر الايام ولكنهُ لم يخبرهم بما يصيبهم في آخر الايام فلماذا ذلك

ج ان المفسرين من علماء الديانة المسيحية يقولون انهُ اخبرهم بمستقبلهم الى ان يولد المسيح منهم وتنقضي دولتهم . والبحث في المسائل الدينية التي من هذا القبيل لا يوصل فيهِ الى نتيجة قطعيَّة لانهُ مبنيٌّ على آراء الناس وهي تختلف باختلافهم اذا لم يحكم عليهم بقبول تفسير مخصوص دون غيرهِ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الربع الاول	٦	٦	٩	صباحًا
البدر	١٣	٨	١٠	مساء
الربع الاخير	٢٢	٨	١٤	صباحًا
الهلال	٢٨	.	.	

السيارات

يظهر عطارد في منتصف الشهر صباحًا ولا يظهر في اولهِ ولا في آخرهِ

المريخ يغيب نحو الساعة ١٠ ١/٢ مساء الشهر كلهُ

المشتري يشرق الساعة ١٠ ١/٢ مساء في اول الشهر والساعة ٩ في آخرهِ

زحل يُشرق بُعيَد غروب الشمس ويرى الشهر كلهُ

اوقات الكسوف المقبل

لم تتصل بنا حتى الآن اوقات الكسوف التي حسبها المرصد الخديوي لمدن القطر المختلفة ولكننا رأينا جدولاً وضعهُ حضرة محمد افندي ابي الفضل الفلكي وفيهِ اوقات الكسوف للمدن التالية

	ابتداء الكسوف دق	س	وسط الكسوف دق	س	انتهاء الكسوف دق	س
مكة وجدة	١	٤	٤	٥	٢	٦
اصوان وكوم امبو	٢٣	٣	٣٦	٤	٣٧	٥
الاقصر	١	٣	١٨	٤	١٣	٥
القاهرة	٩	٣	١٨	٤	٢٢	٥
تونس	٠٠	١	٢٠	٢	٢٢	٣

ولا يكون الكسوف كليًّا في القاهرة بل تظهر الشمس فيها كالهلال

داء السرطان

اصدرت اللجنة الانكليزية الملكية التي انيط بها البحث في السرطان وعلاجهِ تقريرًا في احصاء حوادثهِ ونموّهِ في الاحوال الطبيعية والامتحانية. فقالت عن الامر الاول انهُ لا يمكن الحكم في ما اذا كانت زيادة حوادث السرطان زيادة حقيقية او ظاهرة فقط فان هناك امراضاً كثيرة تشبه السرطان شبهاً عظيماً حتى يصعب التفريق بينها وبينهُ فاذا اصابت عضوًا من الاعضاء الداخلية لم يخرج تشخيصها عن حدّ الظن والتخمين. وكثيرًا ما اتفق شفاء امراض شخصت سرطانًا ولكن ظهر فيما بعد ان التشخيص كان خطاء وانها لم تكن سوى امراض مشابهة للسرطان. والسبيل الوحيد الى تمييز السرطان من غيرهِ انما هو الفحص المكرسكوبي الدقيق بأيدي المجربين في هذا الفنّ

وهناك امر جدير بالاعتبار وهو انهُ ظهر ان السرطان يصيب المتقدمين في السنّ على الغالب. فزيادة حوادثهِ قد تكون دليلاً على تناقص الوفيات بالامراض الاخرى وكثرة المتقدمين في السنّ بين الناس وبالتالي على زيادة متوسط الاعمار

وقالت عن الامر الثاني انهُ لا علاقة ظاهرة بين قابلية الاصابة بالسرطان واعتياد الاكل من احد الوان الطعام. فمن ٥٠٥ انفس من الهنود اصيبوا بالسرطان ١٤٦ نفساً كانوا ياكلون الاطعمة النباتية و١٣٧ نفساً كان معظم طعامهم اللحم و٢٢٢ كانوا ياكلون من الصنفين وقد كان بعض الاطباء يزعمون ان قابلية الاصابة بالسرطان تزيد بمجرد الافراط في الاكل مهما كان نوع الماكول ولكن هذا الزعم ظاهر البطلان اذ ليس بين العوامل التي يتعرض الانسان لها ما هو اشد فعلاً في تقصير اجلهِ من الافراط في الاكل

وثبت بالتجارب الكثيرة الدقيقة ان السرطان انما هو تغيير يطرأُ على خلايا العضو الذي يصاب بهِ بحيث تنمو وتتوالد مستقلة وتشذ عن قوانين نموّ الجسم التي هي فيهِ وتؤَلف جسماً غريباً يسطو على الجسم ويمتص حيوتهُ ويهدُّ بنيانهُ كما لو كان حملة خارجة عنهُ . فاذا مات الحيُّ المصاب بهِ مات هو ايضاً وسبب موتهِ فقد الغذاء اللازم لقوامهِ فانهُ نشأَ جسماً ذا وجود مستقلّ بنفسهِ ويمكن توالدهُ الى ما لا نهاية لهُ بقطع قطع منهُ وزرعها في تربة صالحة لهُ كما لو لقح بها حيوان من نوع الحيوان المصاب فانها تنمو فيهِ وتكبر وتفعل بهِ فعلها بالاول . فقد قطعت بثرة سرطان حجمها بقدر الحمصة من جسم فارة ولقحت بها فئران اخرى فنمت وكبرت حتى بلغ حجم المواد المستخرجة منها حجم كلب كبير

هذا وقد جربوا تطعيم حيوان بسرطان اخذ من حيوان آخر يختلف عنهُ في نوعهِ فلم يفلحوا . ثم ان التلقيح قلما يفلح بين اصناف النوع الواحد اذا كانت متباعدة ولو قليلاً كاصناف الفئران البرية التي تؤْخذ من بلاد مختلفة . وقد ظهر بالامتحان ان السرطان لا يعدي الاَّ بالتلقيح من حيوان الى حيوان . فقد وضعوا فئراناً سليمة مع فئران مصابة بالسرطان في قفص واحد مدة طويلة فبقيت سليمة

ومما ثبت ايضاً انهُ وان كان السرطان يصيب المتقدمين في السنّ عادة الاَّ انهُ اذا لقح بهِ حيوان صغير السنّ قوي البنية فتك بهِ فتكاً اشدّ من فتكهِ بالكبير

هذا ما توفقت اللجنة المذكورة اليهِ . بقي ان يعلم ما هو سبب السرطان وما هي الاحوال التي تلائمهُ ولماذا يصاب بهِ المتقدمون في السنّ اكثر مما يصاب بهِ غيرهم وما هو التغيير الذي يطرأُ على خلايا العضو المصاب بعد اصابتهِ بالداء

وكتب الاستاذ هيولت مقالة مسهبة في الجزء الاخير من جريدة نانتشر وصف فيها ما وصل اليهِ البحث عن حقيقة السرطان واسبابهِ وعلاجهِ وخلاصة ذلك ان السرطان متولد من خلايا تحوَّلت عن حالتها الطبيعية وصارت من النوع المولّد كالخلايا التي يتولد منها الجنين . وسببهُ في النبات تهييج الخلايا فتصير مولدة وقد علم بالمشاهدة ان بين السرطان والتهييج المستمر في الحيوان علاقة سببية فيحتمل ان يكون التهييج السبب الاكبر للسرطان . ولم يكشف حتى الآن علاج شافٍ لهُ ولكن ثبت ان استئصال الغدد السرطانية حالما تظهر خير علاج لها وظهر ايضاً ان اشعة رنتجن تفعل بالسرطان السطحي كأَن هذه الاشعة تؤَثر في الخلايا المولدة اكثر مما تؤَثر في الخلايا العادية التي يتكون الجسم منها فتضمر الخلايا المولدة وتتلف من غير ان يلحق الجسم ضرر ويحتمل ان هذه الاشعة تزيد الانقسام في نسيج

الاورام السرطانية فتتعرَّض لتغذيتها. ومن المحتمل ان اشعة رنتجن تهيج الخلايا السرطانية وتردها خلايا جسمية فتصير لجسم غريب . وقد لاحظ كلوز وغايلرد ان سرطان الفئران يتولاهُ الفساد احيانًا ويزول من نفسهِ وان ذلك يحدث احيانًا قليلة في الانسان ايضًا وان الفئران التي فسد سرطانها فشفيت يفعل مصل دمها فعلاً شافيًا في غيرها من الفئران المصابة بالسرطان فيحتمل ان يوجد علاج شافٍ للسرطان في مصل دم الذين يشفون منهُ من تلقاء انفسهم

رواتب وزراء انكلترا

حددت رواتب وزراء انكلترا سنة ١٨٣١ ولم تزد شيئًا حتى الآن عما كانت عليهِ حينئذٍ والوزراء ووكلاؤُهم واتباعهم اوارباب المناصب السياسية ٦٢ نفسًا يتناولون ١٥٨٥٨١ جنيهًا في السنة واعلى راتب ٥٠٠٠ جنيه واوطاهُ ٣٣٦ . وليس لرئيس الوزارة راتب ولكنهُ يتقلد زمام احدى الوزارات مع رئاسة الوزارة ليستحق الراتب وكثيرًا ما يتقلد منصب ناظر الخزينة الاول

ومن اكثر الوزراء شغلاً رئيس مكتب التجارة ولكن راتبهُ قليل في جنب شغلهِ فانهُ يتناول الفي جنيه في السنة . واكثرهم شغلاً بلا خلاف وزير ارلندا ولكن راتبهُ ٤٤٢٥ جنيهًا . على ان اعظم الرواتب راتب حاكم ارلندا فانهُ ينقد ٢٠٠٠٠ جنيه و ٣٠٠٠ جنيه علاوة ويعطى منزلاً رسميًّا للسكن ومنزلاً آخر خصوصيًّا

ومن المناصب ثلاثة لا شغل لاصحابها ولا عمل غير تناول الراتب وهم رئيس المجلس الخاص وناظر الختم الخاص ومستشار دوقية لنكستر

ورئيس بيت الملك يتناول ٢٥٠٠ جنيه وكلٌّ من اللوردات حشم الملك ٧٠٢ وهم سبعة . وناظرة ملابس الملكة ٥٠٠ جنيه وهي دوقة في الغالب . اما الناظر الذي لا ينقد راتبًا فهو صراف الخزينة اي الذي يدفع الرواتب

جوائز مجمع العلوم الفرنسوي

عين مجمع العلوم الفرنسوي المسمى بالاكادمي عدة جوائز تمنح للسابقين في الفروع الآتية بين هذه السنة وسنة ١٩٠٩ . وهذا بيان بعضها

جائزة سنويَّة قدرها ٤٠ جنيهًا انكليزيًّا تعطى لمن يؤلف احسن رسالة او يكتشف احسن اكتشاف لتعميم استعمال الكهربائية

جائزة قدرها ١٠٠ جنيه تعطى كلَّ سنتين لمن يكتشف اكتشافًا مهمًّا لترقية علم الفلسفة الطبيعية

جائزة قدرها ١٢٠ جنيهًا تمنح كلَّ سنتين لمن يكتشف اكتشافًا مهمًّا (من

الفرنسويين) في الكهربائية

جائزة قدرها ٤٠٠ جنيه تعطى هذه السنة لمن يثبت ان مؤلفاتهِ في الفلسفة الطبيعية رفت هذا العلم اكثر من مؤلفات غيرهِ

جائزة سنوية قدرها ١٦٠٠ جنيه او جائزتان سنويتان قدر كلٍّ منهما ٨٠٠ جنيه تعطى او تعطيان لمن يثبت ان ما اكتشفهُ او كتبهُ في الفلك او الفلسفة الطبيعية او الكيمياء او علم المعادن او الجيولوجيا او الميكانيكيات العملية فاق بهِ الاقران

جائزة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه تعطى من سنة ١٩٠٦ لمن يؤلف احسن مؤلف مدة خمس سنوات ويشترط ان يكون المؤلف مبتكرًا من الطبقة الاولى

جائزة قدرها ٢٠٠٠ جنيه تعطى سنة ١٩٠٧ لمن يكتشف اكتشافًا جديدًا مهمًّا في الرياضيات او الفلسفة الطبيعية او الكيمياء او التاريخ الطبيعي او الطب

اما الجوائز المعينة لهذه السنة فقد ختمت المسابقة عليها في غرة يونيو الماضي

رحلتان الى القطب الشمالي

اشترى دوق دورليان باخرة اسمها بلجكا وجهزها بمؤونة سنتين وسار بها في ٢٤ مايو يقصد الاصقاع القطبية للاكتشاف ويقال ان في نيتهِ الاجتماع بحملة زجلر التي قصدت القطب برئاسة المستر انتوني الاميركي وكانت هذه الباخرة قد سافرت الى جهات القطب الجنوبي في سنة ١٨٩٧ وعادت سنة ١٨٩٩

وسافر القومندان بيري الاميركي في ١٦ يوليو الماضي لاكتشاف القطب الشمالي في سفينة سمّيت "روزفلت" باسم رئيس الولايات المتحدة الاميركية . وقد صنعت بحيث اذا اطبق الجليد عليها من جوانبها وضغطها ارتفعت من الماء ولم يمسها الجليد بضرر . وقد سار بالطريق الاميركية وقصدهُ بلوغ مكان يبعد ٥٠٠ ميل عن القطب فاذا بلغهُ ترك السفينة هو والذين معهُ وركبوا المزالق على الجليد في فبراير القادم . وفي السفينة مؤونة تكفيهم سنتين

الراديوب

اشرنا في الجزء السادس الى هذا الجسم وقلنا انهُ نامٍ متوسط بين الحي والجماد وقد صنعهُ المستر بطلر برك وذلك انهُ صنع مرقًا من الجلاتين وعقمهُ ووضع فيهِ قطعة صغيرة من بروميد الراديوم فتكوَّن فيهِ اجسام كالميكروبات وكانت تنمو وتنقسم كالاجسام الحية وتفرق عن الميكروبات في انها لا تنمو في جسم آخر اذا طُعِم بها كما تنمو الميكروبات في الاجسام التي تطعَّم بها . وقد كثر البحث عن هذه الاجسام فلم تعلم حقيقتها حتى الآن وسماها صانعها راديوبات لكي تقابل

الميكروبات وتدل على علاقة الراديوم بها

كلف الشمس

عادت الكلف الكبيرة الى الظهور على وجه الشمس فظهرت كلفة منها في ١٣ يوليو الماضي بلغ قطرها نحو مئة الف ميل وكانت ترى بالعين المجرَّدة وقد رآها البعض في لبنان وكتبوا الينا يقولون "كنا على رابية في الخامس عشر من الشهر وكانت الشمس مائلة الى المغيب وهي محجوبة بضباب رقيق فشاهدنا على سطحها بالعين المجرَّدة كلفةً سوداء كبيرة وكانت في اسفلها تقريباً منحرفة الى جانبها الايمن وفي صباح اليوم التالي سوَّدنا زجاجةً ونظرنا الشمس من ورائها فرأينا الكلفة في مكانها في اعلى الشمس وبقينا نراقبها يومياً فكانت تصغر رويداً رويداً وترى في أعلى الشمس والشمس في الشرق او في اسفلها وهي في الغرب الى ان اختفت"

مؤتمر السل

يعقد مؤتمر السل في باريس من ٢ اكتوبر القادم الى ٧ منهُ . وسيكون اربعة اقسام الاول الباثولوجيا الطبية برئاسة الاستاذ بوشار وسيبحث في معالجة الذئب الأكَّال بالطرق المستحدثة وفي استقصاء السل في اول درجاتهِ بالطرق المستحدثة كذلك . والثاني الباثولوجيا الجراحية برئاسة الاستاذ لانولنغ وسيبحث في انواع السل المختلفة وعلاقة الجراحة بتدرن الدماغ وغشائهِ وعلاقة الجروح الكبيرة بالسل . والثالث العناية بالاولاد في سنّ الطفولة دفعاً للسل برئاسة الاستاذ جرانشر . والرابعة العناية بالبالغين كذلك . والخلاصة ان المؤتمر لا يترك باباً من ابواب السل الَّا ويطرقهُ وقاية منهُ قبل حلولهِ وتخفيفاً لشرّهِ بعد الاصابة بهِ

المرأة في اسوج

المرأة في اسوج من اكثر نساء الارض ارتقاء ومساواة للرجل في العلوم والفنون ففي السنة الماضية نالت ثلاث سيدات شهادة دكتور في الفلسفة وتسع شهادة دكتور في الطب . وعينت سيدة نافلة لشهادة دكتور في الشرائع استاذاً لهذا الفنّ في كلية ابسالا ومادام سونيا كوفالسكي الرياضية المعروفة عند الرياضيين استاذاً للرياضيات في كلية اخرى . وبين الكتَّاب كاتبتان اسوجيتان اشتهرتا في اوربا بالمقالات والخطب وهما ألن كاي وسلمى لاجرلوف

مكتشف دورة الدم

المشهور ان مكتشف الدورة الدموية هو وليم هارفي الانكليزي اكتشفها في اوائل القرن السابع عشر ولكن احد الاطباء الاميركيين كتب مقالة قال فيها ان الاسبانيين

يزعمون ان رجلاً منهم اسمهُ سرفتوس هو الذي اكتشفها والا يطاليين ان ثلاثة منهم اكتشفوها والفرنسويين ان رابليه مكتشفها. والحقيقة ان اكتشاف دورة الدم اقتضى لهُ نحو الف سنة — من زمن ارسطو وجالينوس وان الرجل الاول الذي استنتج نتائج منطقية صحيحة مبنية على اختبار مئات من السنين انما هو وليم هارفي

ضغط الهواء وسرعة النبض

ظهر لبعض العلماء ان سرعة النبض تزيد زيادة منتظمة كلما قلَّ ضغط الهواء . وضغط الهواء يقلُّ في الصعود الى رؤُوس الجبال وعندما يشبع الهواء بخارًا مائيًّا فان البخار المائي اخف من الهواء فاذا كثر فيهِ قلَّ ثقل الهواء فقلَّ ضغطهُ . وعليهِ فان ما يشعر بهِ الناس من ضيق الصدر والخلق في الايام التي تكثر فيها الرطوبة سببهُ سرعة النبض الناشئة عن ضغط الهواء

عطارد والكسوف المقبل

كتب المستر ستوني الى جريدة ناتشر الانكليزية يوجه فيها انظار الفلكيين الذين ينوون رصد الشمس في الكسوف المقبل الى السيار عطارد ويشير عليهم برصدهِ ايضاً قائلاً انهُ يكون وقت الكسوف قريباً جدًّا من الخط الواصل بين الارض والشمس

همة العلماء

عرض الاستاذ جنسن على مجمع العلوم الفرنسوي تقريرًا وصف فيهِ تسلقهُ بركان يزوف حديثًا وعمرهُ ثمانون سنة فقال انهُ وصل الى شفا فوهة البركان والقى فيها دلوًا ذات صمامات تفتح وتغلق كما يشاء فلما بلغت الدلو عمقاً عظيماً فتح الصمامات حتى امتلأَت الدلو غازًا ثم اغلقها وانتشلها . وسيمتحن ما فيها من الغاز ليرى نسبتهُ الى ما يتصاعد عن الشمس من البخار

قطارات بلا سوَّاق

في المانيا قطارات نقل تسير وتقف بلا سائق يديرها وهي تسير بقوة الكهربائية وقوة قاطراتها ٢٤ حصانًا فاذا دنت من محطة قرع فيها جرس من غير ان تحركهُ يد انسان فينتبه ناظر المحطة ويستعد لاستقبالها ومتى وقفت واراد تسييرها بعد ذلك صعد الى القاطرة ووصل المجرى الكهربائي فتمشي

الحس في النبات

يرى احد علماء الالمان ان الخلايا التي تؤلف سطوح اوراق النبات هي مكان الحس منهُ وان شكلها ومحتوياتها تمكنها من ان تفعل فعل العدسية في جمع اشعة النور

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثلاثين

٦٧٣ اسكار الثاني ملك اسوج (مصوَّرة)

٦٨٠ الفقر في بلاد الغنى

٦٨١ نلسن ووقعة طرف الغار · لعبد الرحمن افندي شهبندر

٦٨٨ ايضاحات لُغويَّة · للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

٦٩١ بين روسيا واليابان

٦٩٩ تاريخ الوهابية

٧٠٥ مسائل العلم في القرن العشرين

٧١٠ منتخبات من ديوان الحماسة

٧١٧ تاريخ محمد علي باشا (مصوَّرة)

٧٢٦ أَلرجل أَسعد ام المرأَة

٧٢٨ المرأَة بين الغيرة والحبّ

٧٣١ الطعام واللباس

٧٣٢ اساطيل الدول

٧٣٤ باب التقريظ والانتقاد * اشهر مشاهير الاسلام · اصلاح الازهر · تاريخ دول العرب والاسلام

٧٤٦ باب تدبير المنزل * فوائد بيتية

٧٤٩ باب المراسلة والمناظرة * الرجوع الى الحق · علاج لسع العقرب · وصف الباخرة

٧٥٢ باب الزراعة * تطعيم الاشجار (مصوَّرة) · الندوة العسلية · حياة البزور · ورق التوت وتعليف الغنم · الاغراس في الفدان · تربية العجول

٧٥٧ باب المسائل * فرس البحر · الارضاع بعد الموت · اليد اليمنى · سبب استعمال اليمنى · حروف العميان · اسوداد الشعر بعد شيبهِ · معتقد الامير بشير · مستقبل بني اسرائيل

٧٦١ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٧ نبذة

رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

الفصل السابع والعشرون

تقرير برودي

كلكتّا في ... لم اكتب قبل الآن لانني لما وصلت الى يوكاهاما نزلت في مركبة قاصدًا الغراند هوتل فسارت بي المركبة الى دار المحافظة بدلاً من المسير الى الهوتل ولم اشعر الاَّ وانا بين نفر من الحراس فساروا بي الى سجن مظلم وتركوني فيهِ . وعبثًا كنت انادي واقول اني رجل انكليزي واطلب ان يُرسَل جوازي الى قنصلي وبحَّ صوتي وانا انادي واستغيث ولا مجيب ولا مغيث . وبعد ساعتين من الزمان جاءني ضابط يعرف الانكليزية وقال لي ان ولاة الامر اكتشفوا انني جاسوس لروسيا من حين كنت في البحر الاحمر وكل المكاتيب التي كتبتها من ذلك الحين محفوظة الآن في قلم المخابرات وهم غير عازمين ان يفعلوا بي شرًّا وانما يبقونني في هذا السجن الى ان تنتهي الحرب ويعقد الصلح وحينئذٍ يطلقون سبيلي . وطلب اليَّ ان اقبل مصيبتي بالصبر لانني انا الجاني على نفسي . قال ذلك وخرج واقفل الباب وراءهُ

ولا تسألوا عما حلَّ بي حينئذٍ لان الحق قهَّار . ولم آسف على نفسي بل اسفت لان خدمتي ضاعت وتعبي ذهب سدًى ولولا مرض حلَّ بي من شدة البرد في ذلك السجن ومن مخافة الطعام لكنت الآن لا ازال فيهِ لا اسمع غير رسف قيود المسجونين . ولم اعد ارى ذلك الضابط الاَّ مرتين وفي المرة الثانية انست بهِ وتوددت اليهِ واعترفت لهُ بذنبي بعد ان اعطيتهُ الاشارة الماسونية وعرفت انهُ من الاخوة . ثم سألتهُ كيف عرفوا انني جاسوس فضحك وقال الامر سهل فان خدام السفينة يغيرون الورق النشاش على مائدة الكتابة مرتين كل يوم ويدققون نظرهم في ما ينطبع عليهِ وقت تنشيف الكتابة بهِ فيكتشفون اموراً كثيرة والظاهر انهم اكتشفوا من كتابتك انك جاسوس للروس فصادروا مكاتيبك واطَّلعوا على ما فيها فعرفوا حقيقة امرك ولو كانت بالروسية لان قلم المخابرات عندنا يعرف كل اللغات الاوربية

فسألتهُ عما اذا كانت نجاتي ممكنة واني اعدهم بالسفر حالاً . فوعدني انهُ يبذل جهدهُ في ذلك ثم لم اعد اراهُ والظاهر انهُ دعي للحرب والاَّ لرأيتهُ او سمعت منهُ لانني ابديت لهُ اشارة الضيق ولا يسعهُ حينئذٍ الاَّ اغاثتي . ثم مرضت ونُقلت الى مستشفى السجن ووجدت ان طبيب المستشفى من الاخوة ويتكلم الانكليزية والالمانية وقد درس في المانيا فسألني عن امري فاخبرتهُ . ولما نقهت سعى في خلاصي فوضعوني في سفينة آتية الى كلكتّا بعد ان اقسمت لمدير قلم المخابرات انني لا اعود الى بلاد اليابان ابدًا . واعادوا رسمي وقياسي واعادوا ايضًا رسم انأملي اي دهنوا انأملي بالحبر وطبعوها في كتاب عندهم ثم اعطوني جواز السفر

وانا الآن في كلكتا ولم اجسر ان ارسل اليكم تلغرافاً لئلاَّ يعلم لدى رجال الحكومة هنا واخاف ان يكونوا عارفين بي وان تكون حكومة اليابان قد اخبرت حكومة الهند بكل ما توقَّع لاني ارى اثنين يقتفيان خطواتي كيفما سرت . وهذا الكتاب مرسل ضمن كتاب لامي ولا ارى موجباً للانتظار هنا لانني لا استطيع ان آتي عملاً ولذلك سأعود الى انكلترا في الاسبوع القادم

وقد تحدَّثت مع الطبيب مليًّا وفهمت منهُ ان استعداد اليابان يفوق التصوُّر وانها ضربت الاسطول الروسي في بورت آثر واتلفت جانباً كبيرًا منهُ ودخلت بلاد كوريا وامتلكتها وقطعت نهر يالو ولا بدَّ من ان تكون هذه الاخبار قد وصلتكم كلها بالتلغراف في حينها . واجتهدت لاعلم منهُ عن مقدار المساعدة التي نالتها اليابان منا فوجدت انها كلها مالية وادبية. اما المستر برون فقوبل بمزيد الاحتفاء في السفينة اليابانية التي ركبناها من السويس وقد اخبرتكم عن كل ما سمعتهُ منهُ ومن اخته بالتفصيل وعن كل ما سمعتهُ من اليابانيين ولكنني علمت بعد ذلك ان كتبي صودرت كلها فلم يصلكم منها شيء ولا داعي الآن لذكر شيء مما ذكرتهُ فيها لان الحرب قد نشبت ولم يبقَ محل للحذر والتوقي وساكون عندكم بعد وصول هذا الكتاب اليكم باسبوع على الاكثر

استلمت مئة جنيه من المسيو نيقولاڤتش واودعكم الآن الى اللقاء

القرض الثاني

السر هنري برون — ربما اتأخر يا ادث الى ما بعد وقت العشاء لاننا نبحث الآن في عقد قرض آخر لليابان

زوجتهُ — بلغني اننا نمنع البوارج الروسية من اخذ الفحم من اساكلنا او اساكل غيرنا فاخبرْني بالله عليك يا هنري ما الفرق بين مساعدة الروس بالفحم ومساعدة اليابان بالمال الذي يشترى بهِ الفحم والبارود والديناميت وكل لوازم الحرب كيف نحرّم على غيرنا مساعدة احد الفريقين بالفحم ونحن نساعد الفريق الآخر بالمال

السر هنري — لا يمكنني ان اقول سوى ان الدول متفقة على ان الفحم من المواد الممنوعة والمال ليس من المواد الممنوعة

زوجتهُ — اي انسان لهُ عقل يمنع الخاص ويترك العام الذي يشمل ذلك الخاص ولماذا لا نعدل نحن من قبَل انفسنا فان المراد بمنع الفحم او البارود هو ان لا يُساعَد احد المتحاربين على الآخر . واي مساعدة اقوى من المساعدة المالية فاذا كانت دول اوربا تكره الحرب حقيقة وتود ابطالها فسبيلها ان تمنع المساعدة المالية عن الفريقين فيضطرا الى ابطال الحرب

السرهنري — اذا فعلنا ذلك كان الفوز لروسيا لان خزائنها اغنى من خزائن اليابان

زوجتهُ — واذا لم نفعل ذلك كان الفوز لليابان لاننا نعقد لهم القرض بعد القرض ولا نعقد قرضاً للروس

السرهنري — وهذا هو المراد لان مصلحتنا تقوم بفوز اليابان على الروس

زوجتهُ — اذا كان الامر كذلك فلماذا لم نجاهر بهِ من اول الامر ونقل لروسيا انكِ ان حاربتِ اليابان فنحن نساعدها عليك فتحجم روسيا حينئذٍ عن الحرب وننال بغيتنا من غير سفك الدماء وتيتيم الاطفال

السرهنري — اذا فعلنا ذلك قامت فرنسا وانتصرت لروسيا وصارت الحرب عمومية بدلاً من ان تكون محصورة بين دولتين

زوجتهُ — لا يخلو ان تكون روسيا محقة او غير محقة واذا كانت محقة او غير محقة فلا يمكن ان يخفى ذلك على اناس لهم عقول فاَلّفوا مجلساً يرى مطالب الفريقين ويحكم ايهما المحق ويقضي لهُ بحقهِ واذا ابى الفريق الآخر اتحدت الدول كلها واكرهتهُ على القبول فاذا رأى ان الدول كلها متفقة اضطرَّ ان يذعن لها واذا كان الرجال لا يستطيعون ان يؤلفوا مجلساً مثل هذا فالنساء يؤلفنهُ لهم ولكن ما لنا وللهزل الآن لماذا لم نؤيد مؤتمر السلم ولم نقر على وجوب التحكيم في كل المسائل

السرهنري — اذا جرى التحكيم بطلت الحروب واذا بطلت الحروب بطل الصيد من الماء العكر فقلَّ البيع من الجرائد واقفلت معامل البارود ومسابك المدافع ولم تعد الدول تستدين الاموال من ارباب الاموال ولا عاد احد يكسب من الالتزام

زوجتهُ — قل لي ذلك هذا هو المحرك الاول للحرب والاَّ فما فائدة فلاَّح روسيا من بورت ارثر وما يهمهُ سواء كانت للروس او للصين او لليابان . وما فائدة الفلاَّح الياباني من هذه الحرب بل ما هي فائدة التسعة والثلاثين مليوناً من الشعب الانكليزي من الحروب التي اشتبكنا فيها او ساعدنا غيرنا عليها . المعدّن لا تكاد اجرتهُ تكفيهِ وتكفي زوجتهُ واولادهُ والعامل لا تزاد بنسة واحدة في اجرتهِ ما لم يجاهر بالاعتصاب وقتاً بعد آخر وكل الذين يستفيدون من الحروب لا يبلغون مليون نفس من الاربعين مليوناً هؤلاء يبنون القصور ويقتنون اليخوت ويركبون المركبات والاوتوموبيلات وينفق الواحد منهم على نفسهِ ما يكفي لمعيشة الف نفس فيقاسي تسعة اعشارنا اشد المشاق لكي يعيش العشر الآخر بالرفاهة والترف

السرهنري — حرام عليكِ يا ادث ألا ترين ان اغنياءنا وامراءنا يشاركون عامة الجند

في تجشم المشاق ويقتحمون المخاطر اين ولدانا الآن الم نرسلهما الى دار الحرب في مصلحة وطنية

زوجتهُ — أصحيح ذلك يا هنري ألا يذهب ابن الامير الى الحرب كما يذهب الى صيد الاسود لاجل الفخر والشهرة ولكي يعود ويتقلَّد رتبة عالية او وساماً فاخراً ولولا حب اقتحام المخاطر ما رأيت احداً يخاطر بنفسهِ لمصلحة غيرهِ ثم ان الذين يكتسبون المكاسب الكبرى من الحروب لا يتقلدون سلاحاً ولا يسيرون فيها خطوة وجمهورنا مسخَّر لغيرهِ

يلتفت السر هنري الى الساعة ويقول لا بدَّ من ذهابي الآن وسنعود الى الكلام في هذا الموضوع بعد رجوعي ان شئتِ . ثم يقبّل وجنتيها ويذهب ويدور الحديث في نادي الصحافة على طلب اليابان قرضاً جديداً وعلى كيفية مساعدتها في الجرائد بالكتابة والترغيب حتى يغطى القرض مراراً عديدة . ويعرض على كل جريدة المبلغ الذي يحق لها ان تكتتب بهِ وتأخذ فرقهُ وحسب السر هنري انهُ اذا ارتفع السعر واحداً في المئة فقط بلغ ربحهُ من هذا الاكتتاب خمسة الآف جنيه فصادق على الخطة التي اقرُّوا عليها . ثم قال احد الحضور ان الحرب لا تضع اوزارها ما لم تطلب روسيا الصلح وهي لا تطلبهُ ما لم تحدث فيها ثورة داخلية او شبه ثورة حتى ترى نفسها مدفوعة الى طلب الصلح لكي يتسنَّى لها الاهتمام بداخليتها . وطلب من اصحاب الجرائد ان يساعدوهُ بكتاباتهم ويوعزوا الى مكاتيبهم ليرموا الى هذا الغرض وقال لهم ان الشركات التلغرافية وعدتنا بالمساعدة ونحن لا نتوخى ضرراً لروسيا بل نفيدها بتنبيه شعبها الى طلب الاصلاح . فضحك بعض الحضور من كلامهِ وقال غيرهم اننا نسير حسب دواعي الحال ولا نتقيَّد بشيء وانفضَّ المجلس وعاد السر هنري برون وهو يفكر في فائدة الحرب للذين يستطيعون ان ينتفعوا منها ماليًّا . ثم خطر على بالهِ كلام زوجتهِ وقال من اين تأتيني هذه الخمسة الآف جنيه أليس من عرق الفلاحين وحاول طرد هذا الفكر من ذهنهِ فلم يستطع

الفصل الثامن والعشرون

التهييج

عزرا — لقد اخبرتك يا حنين افندي واقعة الحال كما هي وانت وشأنك بعد الآن وغاية ما اطلبهُ اخراجي من هذه القضية باي وجه كان

حنين المحامي — لا بدَّ لنا من استخدام الراي العام وتهييج الجرائد فكم تدفع

عزرا — ادفع لمن . الجرائد الكبيرة لا تشترى على ما اظن والجرائد الصغيرة لا يقرأها احد فكيف نهيجها ومع مَن وعلى مَن

حنين — هذا شغلي وليس شغلك

عزرا — اتعابك انقضى امرها ثلثمئة جنيه معجلة وثلثمئة مؤجلة اما الجرائد فانت وشانك فيها كم تظن انهُ يلزم ان نصرف عليها

حنين — قل ستماية جنيه

عزرا — ستماية جنيه ياسلام

حنين — اتستكثر ستماية جنيه وتخرج من هذه القضية ولا تعرض دفاترك على المحكمة

عزرا — دفاتري وَمن قال ان دفاتري تعرض على المحكمة . حسابات الناس نصف زبوناتي لا يريدون ان يُعرَف عنهم انهم يشتغلون في البورصة . اكثرهم من مستخدمي الحكومة الممنوعين من الشغل فيها خذ ستماية جنيه خذ سبع مئة جنيه وخلصني من هذه الورطة

حنين — اتفقنا ستماية جنيه ارسل لي ثلاثماية منها الآن

عزرا — حاضر أهو تشك بثلاثماية جنيه لحامله . ثم طلب منهُ وصلاً بهذا المبلغ فابى ان يعطيهُ وصلاً وبعد جدال طويل ارتضى عزرا ان يذهب من غير وصل لكنهُ سألهُ ان يبسط لهُ الطريقة التي يستخدمها لاثارة الجرائد والراي العام معهُ وكيف يحمل القضاة على قراءتها . فضحك المحامي وقال لهُ ليس المراد ان اثيرها معك بل ان اثيرها عليك وهذا ليس شغلك بل شغلي فكن مطمئن البال

ولما خرج عزرا نادى المحامي اثنين من الكتّاب يعتمد عليهما في هذه الشؤُون واملي عليهما اربع مقالات لتنشر في جريدتين عربيتين وجريدتين افرنجيتين وكأَنها بلسان الخواجه لاڤي يشكى فيها من القضاة وانحيازهم الى عزرا لانهم من زبائنهِ المشتغلين عندهُ في البورصة ولذلك انحازوا اليهِ وتهددهم بان يرفع امرهم الى المقامات العليا . فصدرت تلك الجرائد مملوَّة بالتهديد للقضاة فابتاع حنين افندي اعداداً منها وارسلها الى كل واحد من القضاة والى مستشار الحقانية والنائب العمومي ووكيلهِ فلما اطّلعوا عليها لم يشكُّوا في انها كتبت بايعاز الخواجه لاڤي والمحامي عنهُ . وبعد يومين نشرت جرائد اخرى مقالات من نوعها كلها تهديد ووعيد ومضمونها ان الخواجه لاڤي مطّلع على كل ما يجري سرًّا وعلى كل المساعي التي استعملها الخواجه عزرا لاستمالة القضاة اليهِ حتى عزموا على تبرئتهِ وتغريم الخواجه لاڤي لانهم استكثروا ثروتهُ ولم يروا ما ينتظر منهُ . وكان الكلام مقمَّناً لا يُمسَك والجرائد التي صرَّحت اكثر من غيرها اجنبية لا يسري عليها قانون المطبوعات . وطاف اصدقاء حنين افندي في دواوين الحكومة ينبهون الناس الى تلك المقالات ويقولون ان الخواجه لاڤي قوَّم الدنيا على القضاة والمحاكم

واجتمع احمد بك المحامي عن الخواجه لافي باحد القضاة وكان من خلّص اصدقائهِ وقد درسا علم الحقوق معًا وكانا في فرقة واحدة فرأى منهُ نفورًا على غير ما كان ينتظر فاستغرب ذلك وسألهُ عن السبب فقال اتسألني عن السبب بعد ان ملأتم الدنيا تهييصًا

فلم يفهم احمد بك مرادهُ لانهُ لم يكن قد اطّلع على ما كتبتهُ تلك الجرائد ولان الجرائد المعتبرة التي كان يطالعها لم تكتب شيئًا من ذلك فقال لهُ افصح لي اين التهييص ومن ملأ الدنيا بهِ

القاضي — أعليَّ يا احمد بك اعمل معروفًا ولا تكلمني في هذا الموضوع

فظن احمد بك انهُ امتنع عن مكالمتهِ لئلا يؤثر كلامهُ فيهِ وان الخواجه لافي استعمل ما لهُ من النفوذ لدى ولاة الامر وشكا القضاة قبل ان يرى منهم شيئًا يخالف مصلحتهُ فلامهُ في نفسهِ ولم يبدِ لصديقهِ القاضي شيئًا من ذلك بل غيّر الموضوع وتكلم معهُ في شؤون أُخرى ثم ودَّعهُ وسار الى مكتب الخواجه لافي وانفرد بهِ وسألهُ عمّا فعل من امر التهييج على القضاة فاكّد لهُ الخواجه لافي انهُ لم يكلم احدًا في هذا الموضوع . فعاد الى مكتبهِ منشغل البال ونادى واحدًا من كتّابهِ وسألهُ عما يقال عن قضية الخواجه لافي فقال الكاتب ان البلد مطبولة بها والناس يقولون ان الخواجه لافي استحضر توصية من الملك وان المستشار تاكد ان القضاة منحازون الى عزرا لانهم يشتغلون عندهُ في البورصة واسماءهم في دفاترهِ ولذلك لا يمكن ان يطلبوا احضارها الى المحكمة . فقال لهُ وما سبب هذه الاشاعات فقال مقالات كثيرة نشرت في بعض الجرائد فقال لهُ عليَّ بها

وجعل احمد بك يقرأ فاتضح لهُ حالاً ان حنين المحامي عن عزرا هو مصدر تلك المقالات وتلك الاشاعات اراد بها ان يغيظ القضاة من الخواجه لافي بتظاهرهِ بالدفاع عنهُ والتحامل على عزرا فقال في نفسهِ يا لها من حيلة شيطانية ولا بدَّ لي من السعي في ابطال التأثير السيء الذي اثّرتهُ فدق التلفون واستدعى الخواجه لافي اليهِ واطلعهُ على ما اكتشفهُ فوقف مبهوتًا وقال لهُ صار عمري خمسًا وخمسين سنة ولم اسمع في حياتي كلها بحيلة شيطانية مثل هذه فما العمل

احمد بك — يظهر لي ان القضاة كلهم مغتاظون منّا اشد الغيظ ويستحيل ان لا يؤثر فيهم غيظهم لان سلطة الاهواء اقوى من سلطة العقل في اكثر الناس ولذلك لا استغرب انهم يبرئون عزرا غيظًا منك

الخواجه لافي — هب انهم برأوهُ فهذا لا يضرني ولكن ماذا يفعلون بي

احمد بك — يحكمون على السائق بالاشغال الشاقة وعليك بالحق المدني ويخرج عزرا بريئًا وهو الفاعل المتعمد الذي دبّر هذه المكيدة من اولها الى آخرها . لا لا هذا لا يكون اذا لم

يكن عندك واسطة لاظهار الحق فانا اظهره

فصافحهُ الخواجه لا في وقال لهُ افعل ما بدالك بشرط ان لا تزيد المصاريف فضحك احمد بك وقال لهُ طمن بالك وصرّ على اموالك

الفصل التاسع والعشرون

النقه

بهية — انا آتية من عندها الآن العملية نجحت وقد توفقوا بجرَّاح من اكبر جراحي فرنسا كان مارًّا في القطر المصري فاستدعاهُ طبيبها لمساعدتهم في العملية

استير — كم اعطوهُ يا ترى فان اجور الجراحين المشهورين غالية جدًّا

بهية — سمعت انهُ طلب عشرين الف فرنك فاخذها دعيهِ يأخذ مئة الف فرنك مَن لا يدفع كل مالهِ لكي ينجي ابنتهُ من الموت واي ابنة هل تجدين كثيرات مثل حليمة

استير — صدقتِ لا اعرف ابنةً اجمل منها ولا الطف ولا اقرب الى القلب ولكنها صارت الآن كالخيال لم أرَها اليوم ولكنني رأيتها اول امس ومع كل المها لا تتشكّى وقد قالت لي انها تود ان تموت وتذهب الى اختها ولا تودُّ لئلا يحزن والداها عليها . ما هو هذا الموت يا بهية كيف نفارق الذين نحبهم وهل نجتمع ثانية بعد الموت واين نجتمع . التوراة لا تقول لنا شيئًا وهي الكتاب الوحيد الذي يُعتمد عليهِ عندنا اما انتم فعندكم كتب اخرى لكن العلماء الباحثين في هذا الموضوع يقولون انهم لا يعلمون شيئًا علم اليقين وقد سألت الامام احمد عن رأيهِ وهو عالم كبير فقال انهُ لا يعلم عن هذا الامر اكثر مما اعلم انا ولكنهُ لا يقدر ان يتصور ان خالق هذه الاجسام وهذه الارواح خلقها لتعيش سنين قليلة ثم تفنى فكأنهُ بنَّاء يبني القصور الفخيمة ثم يخربها ليتسلَّى ببنائها وخرابها وهذا امر لا يصدقهُ عقل . فقلت لهُ ولكننا اذا رأينا القصور تبنى وتخرب امام عيوننا فكيف لا نصدق ما نراهُ اين اجدادنا واجدادهم وكل الذين عاشوا في الدنيا من اول وجود الانسان فيها الى الآن الم يموتوا وتبلى اجسامهم ونصير ترابًا قصور تبنى وتخرب امام عيوننا . اما الامام احمد فيقول ان الاجسام كلا شيء بالنسبة الى الارواح وان النفوس تبقى ولو صارت الاجسام ترابًا ورمادًا وقد قالت لي حليمة انها رأت اختها وكلمتها ولكنها لم ترَ لها جسمًا ولا صورة محدودة

بهية نعم قالت لي ذلك وانا اظنهُ من قبيل الاحلام التي نراها في الليل فكم من مرة نحلم بأناس قريبين او بعيدين عنا وهذا لا يستلزم انهم هم انفسهم يزوروننا في الليل مثال ذلك

انني حلمت بمس برون منذ يومين وكنت اتكلم معها كأَنها واقفة امامي مع انها بعيدة عنا الوفاً من الاميال فلا يدل ذلك على ان نفسها تركت جسمها في بلاد اليابان واتت وزارتني في الليل بل اني انا افتكرت بالصورة المرسومة لها في ذهني وجعلت اتوسَّع في الفكر بالتذكر وائتلاف الافكار

استير — وهل حلمتِ باخيها واين هو الآن

فاحمر وجه بهيَّة ونظرت اليها نظر اللوم وقالت لها ما لنا ولهُ

استير — ماذا جرى هل كتب اليكِ شيئاً

بهية — كلاَّ ولكن قلبي يدلني على انهُ في ضيق شديد كان آخر خبر منهُ ان اختهُ مريضة وهو ينتظر شفاءها حتى يرجع معها ولكنني اشعر بضيق في قلبي ولا اظن ان السنة تنتهي على خير فانظري ما اصاب اخي وابي وحليمة وما اصاب مركبة ابيكِ وخسارة امين في البورصة وهذه الامور كلها قد انتهت الاَّ مسألة حليمة وارجو ان تنتهي على خير ومع ذلك فنفسي صغيرة جدًّا واخشى من شر قريب يحلُّ بنا . ما نفع هذه الحياة اذا كنا لا نجد فيها غير التعب والالم

استير — انا اعلم سبب ما تشعرين بهِ وكيف تحاولين اخفاءهُ وهو لا يختفي . ان كان هنري قد سافر بعد ما كتب اليكم باسبوع او اسبوعين فانهُ يكون ههنا في اواخر هذا الشهر وحينئذٍ يزول كل ما تشعرين بهِ الآن من الغم وصغر النفس وتكون حليمة قد ملكت صحتها فتزول كل المشاغل معاً

بهية — اتظنين يا استير ان حليمة تشفى لا اظن فانها صارت كالخلال جلداً وعظماً اين شعرها الذهبي فقد قصوهُ ليضعوا الثلج على رأسها اين تلألؤ عينيها اين ذلك الوجه الصبيح وذلك الجسم الممتلئ كنت لا اشبع من النظر اليها قد فارقها كل ذلك الاَّ بشاشة وجهها. وهي نفسها لا تظن انها تشفى ولا يهمها امر شفائها . اذا فقدناها يا استير فمن يقوم مقامها

فجالت الدموع في عيني استير وهذا نادر وكادت تقول لبهيَّة انكِ انتِ تجدين من هنري ودورا خير بديل واما انا فقلبي فارغ لم يدخلهُ احد لكنها كتمت ما يجول في بالها ولم تقل شيئاً . وبعد هنيهة تبسَّمت وقالت لبهيَّة قومي نذهب الى النزهة فنجلي هذا الصدأ من نفوسنا ياحبذا لو سمعت الشيخ احمد يعلل لكِ فعل النزهة في ازالة صدإ الهموم من النفس

بهية — لماذا تلقبينهُ مرة بالشيخ ومرةً بالاستاذ ومرةً بالامام

استير — هو شيخ وهذا لقبهُ ويلقَّب استاذاً للتعظيم واذا اردنا المبالغة في التعظيم قلنا اماماً والحق انهُ امام كبير عند قومهِ واظنهُ يعرف كل شيء او لهُ المام بكل العلوم كما يقولون